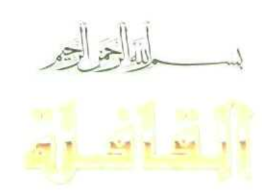


رمضان ١٤٢٠هـ/ديسمبر ١٩٩٩م - يناير ٢٠٠٠م



الإسلام على قمة العالم



AL - QAFILAH

رمضان ١٤٢٠هـ - العدد التاسع - المجلد الثامن والأربعون December 1999 - January 2000

ردمد ISSN 1319 - 0547

مجلة ثقافية تصدر شهرياً عن إدارة العلاقات العامة في شركة أرامكو السعودية .. توزع مجاناً


٦


١٢


٢٤


٣٦

المدير العام :
خالد جاسم البوعينين

رئيس التحرير :
عصام زين العابدين توفيق

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير .
- كل ما ينشر في القافلة يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولايعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها .
- لايجوز نشر الموضوعات والصور التي تظهر في القافلة إلا بإذن خطي من هيئة التحرير .
- لا تقبل القافلة إلا أصول الموضوعات التي لم يسبق نشرها .

العنوان

أرامكو السعودية
صندوق البريد رقم ١٣٨٩ الظهران ٣١٣١١
المملكة العربية السعودية
هاتف : ٨٧٤٧٣٢١ فاكس : ٨٧٣٣٣٣٦
للاستفسار عن الاشتراكات في المجلة
الاتصال بهاتف : ٨٧٤٦٩٤٨
E-mail: al-qafilah@aramco.com.sa
www.saudiaramco.com

تصميم وطباعة مطابع التريكي - الدمام
Designed and Printed by Altraiki Printing Press, Dammam

من فضائل شهر رمضان الكريم

بقلم: د. زغلول راغب محمد النجار

خلق الله، جلّت قدرته المكان والزمان وجعلهما أمرين متواصلين فلا يوجد مكان بلا زمان، كما لا يوجد زمان بلا مكان. وقد فضّل ربنا تبارك وتعالى بعض الأماكن على بعض، كما خص بعض الأزمنة بزيادة فضل بعضها على بعض، وإذا اجتمع فضل الزمان وفضل المكان تضاعفت بركات الفضلين أضعافاً كثيرة بإذن الله.

ومن تفضيل الله تعالى لبعض الأماكن: فضّل مكة المكرمة وحرمها الشريف على كافة بقاع الأرض، وفضل المدينة المنورة وجوارها بعد مكة المكرمة على تلك البقاع، وفضل بيت المقدس من بعد المدينة المنورة كما ورد في أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

ومن تفضيل بعض الأزمنة على بعض : خص الله تعالى شهر رمضان المبارك بزيادة فضله على باقي شهور السنة الأثنى عشر ، ومنها الأشهر الحرم، وأشهر الحج، وخصَّ ربنا تبارك وتعالى من رمضان ليلة القدر بجعلها خيراً من ألف شهر، كما فضَّل يوم الجمعة على باقي أيام الأسبوع، وفضّل العشر الأوائل من ذي الحجة، وخص منها يوم عرفة بزيادة فضل عميم .

وتعظيمنا وتوقيرنا لكل الأماكن والأزمنة التي شرّفها الله تعالى بالفضل هو من صميم خضوعنا لله بالطاعة، ومن ثم فهو من صميم العبادة. والعبادات في الإسلام من الأمور التوقيفية التي لامجال لإعمال العقل الإنساني فيها، ومن ثم فإن المسلم لا يملك حيالها إلاّ القبول والتسليم، وهذا لايتنافى مع محاولة التعرف على شيء من حكمة ذلك التفضيل في حدود ما أخبرنا به الله ورسوله كما يتضح من تفضيل كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لشهر رمضان المبارك.

لم يذكر في القرآن الكريم كله شهراً باسمه غير شهر رمضان، وفي ذلك تشريف له وتكريم بسبب اختيار الله له ليكون الشهر الذي تنزّل فيه القرآن

تفضيل القرآن والسنة لشهر رمضان المبارك

يقول ربنا تبارك وتعالى في محكم كتابه: ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ...** ﴾ [البقرة: ١٨٥]

ولم يذكر في القرآن الكريم كله شهراً باسمه غير شهر رمضان، وفي ذلك تشريف له وتكريم بسبب اختيار الله تعالى له ليكون الشهر الذي تنزّل فيه القرآن، بل تنزلت كافة الكتب السماوية المعروفة لنا فيه، لكرامة خاصة لا يعلمها إلا الله، فهناك الأشهر الحرم (رجب، ذو القعدة، وذو الحجة والمحرم) ، وهناك أشهر الحج (شوال، ذو القعدة، وعشر من ذي الحجة) وكلها ذكرها في القرآن الكريم مجملاً بغير تفصيل، لكن يتفرد شهر رمضان وحده بالذكر في كتاب الله، على الرغم من كرامة هذه الشهور وفضلها في ميزان الله.

ولزيادة في فضل رمضان كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يبشر أصحابه بمقدمه فيقول: «جاءكم شهر رمضان، شهر رمضان كتب الله عليكم صيامه، فيه تفتح أبواب الجنة، وتغلق أبواب الجحيم، وتغل الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم». وأحاديث المصطفى (صلى الله عليه وسلم) في تعظيم هذا الشهر الكريم أكثر من أن تحصى في هذا المقام.

فضائل شهر رمضان المبارك

١- **إنه شهر تنزيل القرآن الكريم :** فلقد بدأ تنزل الوحي الإلهي بالقرآن الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين – صلى الله عليه وسلم – وهو يتعبد في غار حراء في إحدى الليالي الوتر من شهر رمضان المبارك سنة ١٣ قبل الهجرة (الموافق ٦١٠م)، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ...** ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وذكر ابن عباس (رضي الله عنهما) ما نصه : «أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وروى الطبراني في الكبير بسند حسن أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست خلين من رمضان، وأنزلت الزبور لثلاث عشرة خلين من رمضان، وأنزل الإنجيل لعشرين خلين من رمضان، وأنزل القرآن لست وعشرين خلين من رمضان».

ولما كان القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية نزولاً، فإنه كان ناسخاً لها ومهيمناً عليها، خاصة وأنها قد تعرضت كلها للضياع التام، أو للنقل إلى لغات غير لغة وحيها، مع ضياع الأصول، أو للتحريف الذي أخرجها عن إطارها الرباني، وجعلها عاجزة عن هداية البشرية، ولذلك فقد تعهد ربنا (تبارك وتعالى) بحفظ رسالته الخاتمة حفظاً كاملاً بنفس اللغة التي نزلت بها (اللغة العربية) فحفظت بحفظ الله كلمة كلمة، وحرفاً حرفاً تحقيقاً للوعد الإلهي الذي قطعه ربنا (تبارك وتعالى) على ذاته سبحانه وتعالى فقال:

﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ [الحجر: ٩]

من هنا يتضح فضل شهر رمضان، شهر تنزيل كل صور الهداية الربانية التي تكاملت في القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى هداية للناس كافة في أمور العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات، وهي من القضايا التي لا يستطيع الإنسان - مهما أوتي من أسباب الذكاء والفطنة - أن يضع لنفسه فيها ضوابط صحيحة، ولا يستطيع في نفس الوقت أن يحقق رسالته في هذه الحياة بغير تلك الضوابط الصحيحة.

ومن هنا أيضاً كانت فريضة الصيام في هذا الشهر الفضيل تعظيماً له وتبجيلاً، كلما دار الزمن دورته وأهلّ علينا بنوره، مذكراً إيانا بالقرآن العظيم، هذه الهداية الربانية، وهذا النور الإلهي الذي منّ الله تعالى به على الدنيا في شهر رمضان المبارك، دستوراً كاملاً شاملاً للحياة، يتخلق به العبد منا مع ربه ومع نفسه ومع أهله وجيرانه وزملائه ومجتمعه ومع الناس كافة، فيرتقى في مدارج الصلاح حتى يصل إلى مراتب التكريم الذي وصفه الحق تبارك وتعالى بقوله: ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم ...** ﴾ [الإسراء: ٧٠] ومن مجموع الأفراد الصالحين تتكون المجتمعات الصالحة في غالبيتها، ومنها تتكون الأمة الخيّرة التي وصفها الحق (تبارك وتعالى) بقوله: ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ...** ﴾ [آل عمران: ١١٠]

وما أحرانا في شهر رمضان المبارك أن نقبل على كتاب الله تلاوة وتدبراً وحفظاً واستيعاباً لأوامر الله، وإلزاماً للنفس بها، ودعوة لكافة الناس إليها، وفهماً لنواهي الله، ونهياً للناس عن الاقتراب منها بالكلمة الطيبة والحجة الواضحة والمنطق السوي حتى يتحقق الهدف من تذكيرنا بفضل القرآن الكريم كلما هلّ علينا شهر القرآن ذلك الكتاب الكريم الذي يصفه ربنا تبارك وتعالى بقوله: ﴿ **الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد** ﴾ [إبراهيم: ١].

ولابد من تدبر القرآن الكريم في تدرج منطقي رشيد، يلزم النفس بما تعلمته أولاً بأول، حتى تتربى على هذا الهدى الإلهي كما تربى صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذين ما كانوا يتجاوزون العشر آيات من القرآن الكريم حتى يعرفوا معانيهن والعمل بهن، كما أخبرنا عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) وكانوا يقولون: «وهكذا تعلمنا العلم والعمل معاً». فطبقوا القرآن الكريم على حياتهم تطبيقاً عملياً راشداً، يعتمد أولاً على فهم دلالة الآية القرآنية، وفقه مقاصدها، والعمل بها. وما أحرانا بالتأسي بهذا المنهج في التعامل مع كتاب الله الذي يصفه الحق تبارك وتعالى بقوله: ﴿ **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** ﴾ [البقرة: ٢] وقوله تعالى: ﴿ **إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم** ﴾ [الإسراء: ٩] وقوله تعالى: ﴿ **قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ** ﴾ [الأنعام: ١٠٤] وقوله تعالى: ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب** ﴾ [ص: ٢٩]

ما أحرانا في شهر رمضان المبارك أن نقبل على كتاب الله تلاوة، وتدبراً، وحفظاً، واستيعاباً لأوامر الله، وإلزاماً للنفس بها، ودعوة لكافة الناس إليها، وفهماً لنواهي الله، وابتعاداً بالنفس عنها، ونهياً للناس عن الاقتراب منها، بالكلمة الطيبة

ويلح رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) على التمسك بالقرآن الكريم فيقول: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي».

٢ - **إنه شهر الصيام:** وفي ذلك يقول ربنا تبارك وتعالى مخاطباً عباده المؤمنين: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وواضح من هذه الآية الكريمة أن الصيام فريضة تعبدية، فرضها الله تعالى على عباده المؤمنين من لدن أبينا آدم عليه السلام إلى بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين (صلى الله عليه وسلم) وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وفي ذلك من التأكيد على وحدة الرسالة السماوية، ووحدة الإنسانية ما فيه من المعاني والقيم.

والصيام ركن من أركان الإسلام، وفريضة من فرائضه، فرضها الله سبحانه وتعالى على كل مسلم، بالغ، عاقل، صحيح، مقيم، ذكراً كان أم أنثى، وذلك تعبداً لله تعالى، وتعظيماً لشهر رمضان الذي شرفه ربنا تبارك وتعالى بتنزل وحيه فيه، وقد وردت لفظة الصيام بمشتقاتها في القرآن الكريم ١٣ مرة، قصد بها في واحدة منها (مريم: ٢٦) الصوم عن الكلام، وفي الباقي قصد الصوم عن حاجات الجسد كلها من الطعام والشراب والشهوات (البقرة: ١٨٣ - ١٨٥، ١٨٧، ١٩٦؛ النساء: ٩٢؛ المائدة: ٨٩، ٩٥؛ الأحزاب: ٣٥؛ والمجادلة: ٤).

وتتضمن هذه الآيات جانباً من عبادة الصوم المفروضة تمكيناً لتقوى الله وخشيته في قلوب المؤمنين، أو تكفيراً عن أخطاء ارتكبوها، أو عن يمين حنثوا فيها.

فتح الله، سبحانه وتعالى، للمسلمين في هذا الشهر ما لم يفتح لهم في غيره من أبواب النصر والعز والانتشار، فمنذ أول رمضان بعد الهجرة بدأ المسلمون في إرسال السرايا التي كللها الله بالنصر

والصيام عبادة من أعظم العبادات لله، والعبادات طاعات لا تعلل وإن تراءت لنا أوجه من حكمة فرضها، وقد فرض الصيام على أمة خاتم الأنبياء والمرسلين (صلى الله عليه وسلم) في شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة، وهو ركن من أركان الإسلام لا يصح إسلام المرء إلا به ولذلك يقول ربنا تبارك وتعالى فيه: ﴿ **فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾ [البقرة: ١٨٥]. ويقول المصطفى (صلى الله عليه وسلم) في رواية عن ربه: «قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به...». وقال (صلى الله عليه وسلم): بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً».

وقال (صلى الله عليه وسلم): «ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله تعالى إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً».

وقال: «إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد».

والصيام واجب على كل مسلم، بالغ، عاقل، صحيح، مقيم كما أسلفنا، إلا أنه يرخص بالفطر مع وجوب الفدية للطاعن في السن، وللمريض المزمن الذي لا يرجى برؤه.

وكل من الحائض والنفساء يجب عليها الفطر والقضاء، وكل من الحامل والمرضع، إن خافت على نفسها أو على حملها أو رضيعها، فلها أن تفطر وتفدي ولا قضاء عليها، أو أن تقضي ولا فدية عليها، أو أن تقضي وتفدي إن كان ذلك في استطاعتها. هذا، وقد حذر رسول الله، (صلى الله عليه وسلم) من الفطر في رمضان بغير هذه الأعذار الشرعية فقال: «من أفطر يوماً من رمضان في غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر كله وإن صامه».

شهر الاجتهاد في العبادة

كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو أعبد الناس لله، يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره، وفي العشر الأواخر منه ما لايجتهد في غيرها كما روت لنا أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) والتي ورد عنها أيضاً قولها: «كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل كله، وأيقظ أهله، وجدّ وشد المئزر».

وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يُرَغِّبُ في قيام رمضان فيقول: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» وما أحرانا - في زمن الفتن الذي نعيشه - بالتأسي بنبينا (صلى الله عليه وسلم) فنحرص على حسن أداء العبادة في شهر رمضان المبارك حتى نتطبع بذلك على مدار السنة، من حرص على أداء الصلاة في وقتها، وقيام الليل، والإكثار من الاستغفار والدعاء، والاعتكاف في العشر الأواخر من هذا الشهر الفضيل كلما أمكن ذلك، وفي الوتر منها ليلة القدر، وهي الليلة المباركة التي وصفها الحق، تبارك وتعالى، بقوله: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ** ﴾ [الدخان: ٣]، وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣)** ﴾ [القدر: ١ - ٣] أي أن العبادة فيها أفضل من عبادة ألف شهر (من غير شهر رمضان).

وفي الحديث الصحيح: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

وقد وصفت ليلة القدر وصفاً يهز القلب في قول المصطفى (صلى الله عليه وسلم) عنها: «من حُرِمَ خيرها فقد حُرِمَ». والدعاء في شهر رمضان أحرى بالإجابة لما ورد في الحديث الصحيح: «إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد»، وفي حديث آخر: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، والمظلوم».

والعمرة في رمضان تعدل حجة مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لقوله: «عمرة في رمضان تعدل حجة معي».

والاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان سنة مستحبة واظب عليها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) طيلة حياته الشريفة، وأقل الاعتكاف يوم وليلة، وأكمله العشر الأواخر من رمضان.

ورمضان هو شهر المغفرة وتكفير الذنوب، إذ يقول المصطفى (صلى الله عليه وسلم): «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر».

شهر الجهاد في سبيل الله وشهر الانتصارات الإسلامية العظيمة

فقد فتح الله سبحانه وتعالى للمسلمين في هذا الشهر ما لم يفتح لهم في غيره من أبواب النصر والعز والانتشار، فمنذ أول رمضان بعد الهجرة بدأ المسلمون في إرسال السرايا التي كللها الله بالنصر، وفي رمضان وقع العديد من الغزوات الكبرى مثل غزوة بدر الكبرى (سنة ٢هـ)، وغزوة تبوك (سنة ٩هـ)، وتم في رمضان فتح مكة المكرمة (سنة ٨ هـ)، وفتح رودس (سنة ٥٣هـ)، وفتح بلاد الأندلس (٩١،٩٢هـ)، وتحرير فلسطين من أيدي الصليبيين في موقعة حطين (٥٨٤هـ)، ومن أيدي التتار في موقعة عين جالوت (٦٥٨هـ).

وحتى في تاريخنا الحديث حين استفدنا من الدروس السابقة، وحرصنا على الاستفادة ببركة هذا الشهر العظيم، وتعرضنا لنفحات الله فيه تم لنا اجتياح خط بارليف، وسحق جيش الصهاينة المحتلين لكل من شبه جزيرة سيناء وأرض فلسطين والمرتفعات السورية وجنوب لبنان، وذلك في العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣هـ (السادس من أكتوبر ١٩٧٣م).

وما أحوجنا إلى هذه المعاني الطيبة في زمننا الحاضر الذي تكالبت فيه الأمم علينا.

شهر التدريب على الالتزام بمكارم الأخلاق

الحكم المستقاة من الصوم أنه فريضة شرعها الله تعالى لتعين المسلم على تعزيز إرادته حتى يتمكن من التحكم في شهواته ورغائبه، وذلك بتعزيز الجانب الروحي فيه، فيعلو بنفسه فوق ضرورات الجسد كلها إلا بالحلال، وفوق إغراءات الشيطان وإثاراته للشهوات الكامنة في النفس الإنسانية، فينأى بنفسه عن مواطن الشبهات، ويحفظها من الوقوع في المحرمات.

ومع تكرار هذه العبادة تتعود النفس الإنسانية الاستقامة على منهج الله في ضبط السلوك، والارتقاء بالذات إلى مناط التكريم الذي توجنا الله تعالى به فقال عزَّ من قائل: ﴿ ولقد كرَّمنا بني آدم ... ﴾ [الإسراء: ٧٠].

الصوم تدريب دوري على الصبر على الشدائد، وعلى تحمل المصاعب والمشاق، وهي من ضرورات مكابدة الإنسان لهذه الحياة

ومناط هذا التكريم هو تقوى الله - تلك النعمة الكبرى التي جعلها الله تعالى سبيل النجاة في الدنيا والفوز في الآخرة - وهي من محصلات الصوم الذي يصفه الحق تبارك وتعالى بقوله: ﴿ يا أيُّها الَّذين آمنُوا كُتب عليْكُمُ الصِّيامُ كما كُتب على الَّذين من قبْلكُمْ لعلَّكُمْ تتَّقُون ﴾ [البقرة: ١٨٣].

والصوم تدريب دوري على الصبر على الشدائد، وعلى تحمل المصاعب والمشاق، وهي من ضرورات مكابدة الإنسان لهذه الحياة، يقول المصطفى (صلى الله عليه وسلم): «الصوم نصف الصبر». والصوم تدريب كذلك على السلوك النبيل مثل غض البصر والسمع عن الحرام، وكف اللسان وبقية الجوارح عن كل منكر وقبيح، وهو دعوة للتواضع والأدب في الخطاب، والرقة في المعاملة، وضبط النفس عند الإثارة والغضب، وتحاشي رفع الصوت في غير معروف لأن ذلك وغيره من السلوكيات الخاطئة قد يحبط الصوم ويذهب من أجره، وفي ذلك يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «... والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولايصخب، فإن سابه أحد أو قاتله

قاتله فليقل إني صائم، إني صائم». ويقول (صلوات الله وسلامه عليه) : «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث».

والصيام تدريب كذلك للنفس المسلمة على الالتزام بالصدق والأمانة، وعلى كراهية الكذب والباطل والخيانة، وفي ذلك يقول النبي الخاتم (صلى الله عليه وسلم) : «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

والصوم استشعار فعلي لآلام الحرمان من حاجات الجسد من مثل الجوع والعطش مما يدفع بالصائم القادر على شكر النعم، كما يدفعه إلى الشفقة والعطف على كل محتاج في مجتمعه فيبذل لهم مما آتاه الله ويسخو عليهم، مما يؤدي إلى قدر كبير من الصلات الطيبة بين طبقات المجتمع المختلفة، ويصلح من علاقاتهم، ويحل العديد من مشكلاتهم، ويوجد قدراً من التراحم والتكافل والحب والاحترام بينهم.

وبذلك يعين الصوم أيضاً على مقاومة نوازع الشح والبخل في النفس الإنسانية، ويطبعها على الجود والكرم وهما من صفات المؤمنين، ومن وصايا الله ورسوله لهم.

رمضان هو شهر التوحد بين أفراد الأمة الإسلامية، وبين كافة أصحاب الديانات السماوية وصوم شهر رمضان تعبير مباشر عن وحدة الأمة الإسلامية

يقول ربنا تبارك وتعالى في محكم كتابه : ﴿ ... **ومن يُوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هُمُ المفلحون** ﴾ [الحشر : ٩]. يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : «كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أجود الناس. وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله (صلى الله عليه وسلم) أجود بالخير من الريح المرسلة».

ويقول المصطفى (صلى الله عليه وسلم) : «الصوم جُنَّة، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفئ الماء النار». وقد سئل (صلى الله عليه وسلم) : «أي الصدقة أفضل؟ » قال : «صدقة في رمضان». وقال - صلى الله عليه وسلم - من فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لاينقص من أجر الصائم شيئاً».

شهر صحة للأبدان

فهو شهر يتوقف فيه الإنسان عن نظامه اليومي في تناول وجبات الطعام، فتستريح بذلك كافة أجهزة الجسم، وتتخلص مما تجمَّع فيها على مدار السنة من فضلات وسموم، ودهنيات وشحوم، وطفيليات وفيروسات، وهي من الأمور المهلكة كلما تراكمت في جسد الإنسان، ومن هنا كانت ضرورة التخلص منها، ولا توجد وسيلة لذلك أفضل من الصوم، وهذا التجديد لعافية الأمة لابد وأن يرافقه تجديد لروحها حتى تصطبغ حياتها بالإسلام العظيم الذي أسس أعظم الحضارات في تاريخ البشرية، والذي هو قادر على إعادة بعث هذه الأمة من جديد.

رمضان هو شهر التوحد بين أفراد الأمة الإسلامية، وبين كافة أصحاب الديانات السماوية: وصوم شهر رمضان تعبير مباشر عن وحدة الأمة الإسلامية، فالكل يصوم من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، على غير تعارف بينهم أو اتفاق، والصوم تعبير مباشر كذلك عن وحدة الأديان السماوية كلها تحت مظلة الإسلام، فالتنزيل ينطق: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكُمُ الصِّيامُ كما كُتب على الذين من قبلكُم لعلكُم تتقون** ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وواضح من نص الآية الكريمة أن الصيام فريضة إلهية فرضها ربنا، تبارك وتعالى، على الناس كافة في كل الرسالات السماوية السابقة على الرسالة الخاتمة، كما فرضها في تلك الرسالة الخاتمة، وفي ذلك توحيد لكافة تلك الرسالات في دين واحد هو الإسلام الذي تكامل في بعثة النبي الخاتم محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وسلم).

وإذا كان احتفالنا بشهر رمضان، وفرض صومه علينا هو من قبيل الشكر على تنزيل القرآن فيه، وإذا كان ثابتاً من حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن كافة الكتب السماوية قد أنزلت في هذا الشهر الفضيل، كان في ذلك دعوة لأهل الكتاب أن يعظِّموا شهر رمضان، فهذا شهر لكل المؤمنين بالله، المعظِّمين لشعائره والمتمسكين بهدايته في وحيه، وهي دعوة كفيلة بتوحيد أهل الكتاب - أو على الأقل المتمسكين منهم بدين - على أرضية مشتركة مع حملة آخر الرسالات السماوية، الذين يؤمنون بالأخوّة الإنسانية العامة التي علّمهم إياها نبيهم الخاتم (صلى الله عليه وسلم) بقوله: «كلكم لآدم وآدم من تراب».

هذا قليل من كثير من فضائل هذا الشهر الكريم الذي أسأل الله تعالى أن يهلَّه على أمة الإسلام بالعزّ والنصر والتمكين حتى تستعيد هذه الأمة دورها الرائد في هداية البشرية من جديد، وما ذلك على الله بعزيز وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. ■

التدريب ومسيرة النجاح في أرامكو السعودية

ترجمة : وليد علي العبود

منذ ما يقرب من ستين عاماً بدأت مسيرة التعليم في أرامكو السعودية بافتتاح ثلاث مدارس متواضعة في الجزء الشرقي من المملكة العربية السعودية، مدرسة واحدة في مدينة الخبر ومدرستين أخريين في حي سكن الموظفين السعوديين المجاور للمكاتب الرئيسة للشركة في الظهران. وقد كانت هذه المدارس الثلاث التي يتكون كل منها من غرفة واحدة فقط عبارة عن هياكل خشبية مغطاة بورق القش. وعلى الرغم من بدائيتها، إلا أنها شكلت انطلاقة بالغة الأهمية لمسيرة التعليم في المملكة.

كانت هذه المدارس، بالمعنى الحديث لهذه الكلمة، هي المدارس الوحيدة في مساحة تغطي مئات الكيلومترات في المنطقة بأسرها. كما كانت أماكن للإبداع، في وقت لم يكن من السهل فيه العثور على شخص متعلم يستطيع أن يفك طلاسم الحروف والأرقام. وقد شكلت هذه المدارس انطلاقة لبرنامج تدريب أخذ يتوسع توسعاً هائلاً على مر السنين.

واليوم، تتولى أرامكو السعودية إدارة واحد من أكبر برامج التدريب في العالم. ففي عام ١٩٩٨م على سبيل المثال، أنفقت الشركة الكثير على برامج التدريب بجميع أنواعها، وخصصت مساحة بلغت مليون



متدرجون يتلقون تدريباً ميدانياً في معمل الغاز في العثمانية من مدربهم، الثاني من اليسار



أحد المتدربين في معمل فرز الغاز من الزيت رقم ٢ في المرجان يعمل على جهاز تقويم، وذلك كجزء من برنامج تأهيل المشغلين المطبق في جميع مناطق الشركة. ويقوم البرنامج على اختبار المشغلين وتأهيلهم كل سنتين

قدم مربعة لأنشطة التدريب المختلفة. كما شهدت السنة نفسها تسجيل ما يقارب ستين ألف متدرب في برامج الشركة، إذا ما أخذنا في عين الاعتبار أن العديد من الموظفين سجلوا في أكثر من برنامج.

على مر السنين، قامت الشركة بإعداد عشرات الآلاف من السعوديين لمناصب إدارية ومهنية وفنية على جميع المستويات

وتمثل هذه الأرقام التزام أرامكو السعودية بالتطوير المستمر للقوى العاملة السعودية في الشركة. وعلى مر السنين، قامت دائرة التدريب في الشركة بإعداد عشرات الآلاف من السعوديين لمناصب إدارية ومهنية وفنية على جميع المستويات. وقد عمل مئات المدربين من عشرات الدول على تطوير القوى العاملة السعودية على أفضل المستويات. وقد كانت هذه الجهود الجبارة -في بذل المال وتوفير القوى العاملة- هي القاعدة التي ارتكز عليها إنشاء شركة زيت عالمية.

لقد كان التدريب جزءاً من برامج الشركة منذ أن بدأ الجيولوجيون الأوائل أعمال التنقيب عن الزيت في المملكة. وفي البداية كانت عملية التدريب تجري بصورة غير منظمة، حيث كان يتم تطبيقها على رأس العمل فقط وعند الحاجة لإنجاز مهمة معينة. لكن الأمور تغيرت سريعاً عند اكتشاف الزيت بكميات تجارية في شهر مارس من عام ١٩٣٨م. وخلال تسعة أشهر، زاد حجم القوى العاملة في الشركة إلى أربعة أضعاف. وقد وجد الرواد الأوائل المكلفون بإنشاء معامل التكرير وخطوط الأنابيب والطرق والمنازل وقاعات الطعام وخطوط التيار الكهربائي وغيرها من الأعمال الأخرى الضرورية لشركة الزيت الناشئة، وجدوا أنفسهم وجهاً لوجه إزاء مهمة توجيه وإرشاد ما يزيد على مائتي عامل من عمال الإنشاء.

وقد بدا واضحاً، في تلك الأيام، حاجة الشركة إلى تبني برنامج موسع للتدريب. ولكن الاهتمام كان منصباً آنذاك على أولوية تطوير البنية التحتية لمرافق إنتاج وشحن الزيت. كما أنه لم يكن بالإمكان توفير المدربين الأكفاء لإنشاء دائرة مستقلة للتدريب.

وقد تم تزويد المدارس الثلاث الأولى، التي بنيت في أواخر عام ١٩٤٠م وأوائل عام ١٩٤١م، بمدرسين ممن يتقنون اللغتين العربية والإنكليزية



متدربون سعوديون يطالعون إعلاناً يقدم لمحة عن التدريب في أرامكو السعودية



أربعة متدربين من برنامج التدرج في الشركة يتعلمون كيفية استخدام نظام متطور للتحكم في التوزيع من مدربهم في معمل الغاز في العثمانية، ليعملوا لاحقاً كمشغلين في معمل الغاز في الحوية

الذين تمت استعارتهم من القوى العاملة في المرافق الصناعية. كانت هذه المدارس تعرف بالمدارس الاختيارية لأنه كان بإمكان أي موظف أن يلتحق بها بعد ساعات العمل الرسمية. ومع أن الهدف الأساسي من إنشائها هو تعليم الموظفين على التحدث والكتابة باللغة الإنكليزية، إلا أنه سرعان ما ظهرت ضرورة تعليم الموظفين بعض مفردات اللغة العربية حتى يسهل شرح المصطلحات الإنكليزية لهم. كما تم بعد ذلك إضافة مادة الحساب إلى المنهج. وبعدها بدأت فصول السلامة، بما فيها الإسعافات الأولية الأساسية وتركيب أعضاء الجسم. وفي الوقت ذاته، بدأت الشركة برامج التدريب على المهارات الوظيفية بصفة رسمية. فقد قام أحد الحرفيين بعقد فصول التدريب في مواقع العمل خلال ساعات العمل الرسمية.

وفي عام ١٩٤٠م تلقى اثنان وعشرون موظفاً سعودياً تدريباً على تلحيم المعادن والتمديدات الكهربائية وتشغيل المحركات الكهربائية والمحاسبة. وبالإضافة إلى ذلك قامت الشركة، بالتنسيق مع شركة نفط البحرين، بإرسال ستة وعشرين موظفاً إلى البحرين لتدريبهم على عمليات تكرير الزيت. وتعد هذه أول مهمة تدريبية تنفذها الشركة خارج المملكة. وفي عام ١٩٤٣م تم تأسيس ما عرف بقسم التعليم، الذي يعد بمثابة نواة دائرة التدريب في أرامكو السعودية. وتم تعيين أحد مديري المدارس في الشركة رئيساً لهذا القسم. كما بدئ بتوظيف مدرسين من الولايات المتحدة الأمريكية ومدرسين آخرين ممن يتقنون اللغتين العربية والإنكليزية من دول الشرق الأوسط. وفي عام ١٩٤٠م تغير اسم الشركة وأصبحت شركة الزيت

اليوم، تتم إعادة هيكلة قطاع التدريب في الشركة من خلال مشروع «التحول إلى عام ٢٠٠٠» والهدف هو تحقيق توافق متكامل مع متطلبات العملاء وأهدافهم

* * * *

نشأت علاقة تم بموجبها التزاوج أو الارتباط بين قصة التدريب وقصة السعودة

بعض المحطات المهمة التي مرت بها الشركة لتدريب السعوديين

١٩٤٩م تعيين أول مشرفين سعوديين.

١٩٥٢م أول معمل لفرز الغاز عن الزيت يُدار بالكامل بأيدٍ سعودية مدربة.

١٩٥٤م أول حقل زيت يتم حفره بالكامل من قبل موظفين سعوديين (حقل شدقم رقم ١٢)

- إبراهيم المحتسب، أول سعودي يُرشح لمنحة دراسية لأربع سنوات ويحصل على الشهادة الجامعية.

١٩٥٨م محمد عبدالله أبو شريفة، أول رئيس وحدة سعودي في معمل التكرير.

١٩٥٩م تعيين أول سعوديَّيْن في مجلس إدارة الشركة.

١٩٦٢م أوائل الموظفين السعوديين يعملون على تشغيل جهاز التهذيب الهيدروجيني للسوائل ومعمل غاز البترول المسال.

١٩٦٣م ورود أسماء موظفين سعوديين لأول مرة في قائمة موظفي الشركة لشغل المناصب العليا في إدارة الشركة.

١٩٦٥م ظافر الحسيني، أول مدير إدارة سعودي، وقد عُين مديراً لإدارة توزيع المنتجات في الظهران.

١٩٦٩م عبدالله الزاير، أول سعودي يرأس مركز التدريب الصناعي.

١٩٧٢م فيصل البسام، أول سعودي يشغل منصب نائب رئيس.

١٩٧٨م علي بن إبراهيم النعيمي، أول سعودي يشغل منصب نائب أعلى للرئيس.

١٩٧٩م إنشاء إدارة تطوير الكفاءات الوظيفية لوضع وتنفيذ برامج تطوير الموظفين السعوديين.

١٩٨٤م علي بن إبراهيم النعيمي، أول رئيس سعودي لأرامكو.

١٩٨٥م علي محمد ضياء الدين، أول سعودي يتولى مسؤولية التدريب في الشركة .

١٩٨٨م علي بن إبراهيم النعيمي، يتولى منصب كبير الإداريين التنفيذيين لأرامكو السعودية، إضافة إلى مهامه كرئيس للشركة. يليه في السلم الإداري ناصر بن محمد العجمي، النائب التنفيذي للرئيس. وهذا ما قد يجعل أرامكو السعودية الشركة الوحيدة في العالم التي يتلقى أعلى شخصين فيها جميع مراحل تعليمهما، من أول مراحل التعليم إلى الشهادات الجامعية العالية، في برامج الشركة التدريبية والجامعية.

- تأسيس برنامج التدرج في الشركة.

١٩٩٣م دمج مرافق التكرير والتوزيع في المملكة في أرامكو السعودية أدى إلى توسعة أنشطة التدريب في جميع أنحاء المملكة.

١٩٩٦م علي حسين الطويرقي، أول خريجي برامج التدريب في الشركة يتولى مسؤولية التدريب وتطوير الكفاءات الوظيفية.

العربية الأمريكية، وعُرفت باسم أرامكو. وفي شهر أبريل من العام نفسه تم افتتاح «مدرسة الجبل». وهي مدرسة جديدة للطلبة السعوديين ممن هم دون الثامنة عشرة في مبنى متواضع في الشارع الرئيس في المنطقة الإدارية للشركة. وهذه هي المدرسة التي بدأ معالي الأستاذ علي بن إبراهيم النعيمي، وزير البترول والثروة المعدنية، والعديد من أفراد الإدارة التنفيذية للشركة تعليمهم فيها.

أما أول برامج التدريب العامة والشاملة في الشركة فقد انطلق عام ١٩٤٩م. وكان برنامج أرامكو للتدريب على الإنتاج هو أول برنامج يؤهل أعداداً كبيرة من السعوديين لأداء وظائف كان يشغلها قبلهم موظفون غير سعوديين. كما كان هذا البرنامج الأول من نوعه الذي يعمل على التنسيق بين التدريب على رأس العمل وما يتلقاه الموظفون من تعليم في الفصول الدراسية في اللغة الإنكليزية والمواد الدراسية الأخرى. وقد شكل هذا البرنامج الانطلاقة الأولى لما عُرف فيما بعد بعملية «السعودة». وخلال خمس سنوات ارتفع عدد الموظفين السعوديين المدربين تدريباً كلياً أو جزئياً على مهارات العمل إلى اثني عشر ألف موظف.

كان القلب النابض لهذا البرنامج يُعرف باسم «تدريب الساعة الواحدة»، أو «تدريب ثمن الوقت»، حيث كان يتم تخصيص ساعة واحدة من كل ثمان ساعات عمل للتدريب على المهارات الوظيفية في موقع العمل. كما التحق المتدربون بمراكز التدريب على التعليمات العامة التي أنشئت مؤخراً. وهي المراكز التي سبقت مراكز التدريب الصناعي، لتعلم اللغة الإنكليزية

والرياضيات والعلوم.

وفي شهر يناير من عام ١٩٥٣م، أطلقت أرامكو أول خطة عمل خاصة بالتدريب في تاريخها التي كانت إحدى سياساتها وضع خطط طموحة جداً وغير محدودة لتطوير السعوديين. كما نصت الخطة على وجوب تعاون جميع الموظفين في برامج التدريب المخصصة لإعداد السعوديين لإنجاز جميع أعمال الشركة مهما كانت طبيعتها وعلى جميع المستويات لتمكين السعوديين من استغلال أفضل ما لديهم من خبرة في أعمال الشركة بجميع أنواعها.



تعد مرافق التدريب المتطورة في أرامكو السعودية عنصراً فاعلاً في جهودها لتطوير مواردها البشرية

في هذه المرحلة نشأت علاقة تم بموجبها التزاوج أو الارتباط بين قصة التدريب وقصة سعودة الأيدي العاملة في الشركة. وعندما أرادت الشركة مؤخراً تلخيص تجربتها الرائدة في هذا المجال، قامت بإصدار كتاب كامل بعنوان «أرامكو السعودية وموظفوها. تاريخ التدريب». وإذا ما أردنا تلخيص الإنجازات الرئيسة للشركة في هذا المضمار فإنه سيتبين لنا مقدار ما بُذل من جهد ووقت للوصول إلى ما وصلت إليه الشركة اليوم.

في شهر يناير من عام ١٩٥٣م، أطلقت الشركة أول خطة عمل خاصة بالتدريب في تاريخها تهدف إلى تطوير السعوديين بلا حدود

وهكذا وبعد عقود من بدء مسيرة التدريب في الشركة، فإن السعوديين يشغلون حالياً ٨٣٪ من الوظائف في الشركة وما يقارب من ١٠٠٪ من الوظائف في أعمال الزيت والغاز، كما تصل نسبة السعودة في الإدارة التنفيذية والعليا إلى ما يقارب ١٠٠٪.

إن المستقبل يحمل في طياته العديد من التحديات الجديدة، فقد تغيرت سوق النفط العالمية، وتبعاً لذلك تغيرت الشركة، كما تغيرت الطريقة التي اعتاد المدربون عليها في تعليم الموظفين مع تغير طبيعة العمل.

واليوم، تتم إعادة هيكلة قطاع التدريب في الشركة من خلال مشروع «التحول إلى عام ٢٠٠٠» لمواجهة هذه التحديات. والهدف هو تحقيق توافق متكامل مع متطلبات العملاء وأهدافهم. وعلى هذا الأساس ستعمل برامج التدريب في الشركة بصورة أسرع ومناهج أفضل وتكلفة أرخص وطريقة أبسط وأداء أكثر ذكاءً. كما سيتم نقل أنشطة التدريب من الفصول الدراسية إلى مواقع العمل. وسيكون على عاتق الموظفين مسؤوليات أكثر تجاه تطوير أنفسهم بأنفسهم. كما أنه لن يتم تقويم التدريب بالنظر إلى تكاليفه فحسب، بل بالنظر أيضاً إلى مقدار ما يضيفه إلى إنتاجية الموظف. إنها عزيمة لا تكل ولا تمل في سبيل تحقيق ما تصبو إليه أرامكو السعودية من رفعة ومكانة، فكلما انتهى فصل من فصول هذه المسيرة ابتدأ فصل آخر. ■

---

* هذا الموضوع مترجم من نشرة «سعودي أرامكو دايمنشنز» التي تصدرها أرامكو السعودية، عدد الربيع/الصيف عام ١٩٩٩م.
* صور الموضوع: أرامكو السعودية



المخاطر الصحية لإشعاعات الهواتف النقالة

بقلم: محمد الجارودي*

ترجمة : جلال الخطيب

* مهندس اتصالات يعمل في إدارة هندسة الكمبيوتر والاتصالات في الظهران.

أرامكو السعودية

أحدثت الهواتف النقالة نقلة كبيرة في صناعة الاتصالات، إذ يتزايد أعداد مستخدميها في أنحاء العالم لإنجاز أعمالهم وشؤونهم الشخصية. ومع استحداث التقنيات الجديدة التي تستعين بالأقمار الاصطناعية على مستوى العالم، بالإضافة إلى الأنظمة الأرضية، فإن آفاق انتشار تلك الهواتف بمعدلات كبيرة على مدى سنوات عديدة قادمة، أمر لا مناص عنه.

لقد صاحب استعمال الهواتف النقالة بعض المخاوف بسبب ما يقترن باستعمالها من طاقة مشعة مصدرها هوائي الهاتف النقال الذي يكون قريباً من رأس الشخص أثناء إجراء مكالماته، الأمر الذي يعني تعرض رأس الإنسان لمعظم تلك الترددات والإشعاعات. وتختلف الآراء حول سلامة استعمال الهواتف النقالة وأثرها على صحة الإنسان، كما تختلف المعايير بالنسبة للحدود المسموح بها لمستوى ما يمكن التعرض له من إشعاعات وترددات وعدم كفاية الأبحاث المتوفرة حول أثرها على صحة الإنسان. ويمثل هذا الموضوع أهمية خاصة بالنسبة للدول النامية، لأن الإقبال على استعمال الهواتف النقالة فيها يشهد نمواً متزايداً مقارنة بدول العالم الأخرى. بالإضافة إلى أن إقامة الأنظمة الأرضية الخلوية في تلك الدول تحتاج إلى هواتف نقالة ذات قدرة عالية بسبب عدم كفاية التغطية الجغرافية. وبالتالي قد تطفو إلى السطح تساؤلات حول أكثر أنواع التقنيات أماناً على صحة الإنسان وسلامته. أما الأنظمة التي تستعين بالأقمار الصناعية فلا تثير مثل هذه المخاوف نظراً لأن تلك الهواتف تعمل بمستوى بث ثابت ومنخفض القوة ولا تتأثر بالموقع الجغرافي في منطقة التغطية.



المهندس محمد الجارودي، الموظف بإدارة هندسة الكمبيوتر والاتصالات، يستعرض الجوانب الفنية لمخاطر إشعاعات الهواتف النقالة.

يرتكز أي هاتف نقال عادي، على عدد كبير من محطات البث المنخفضة القوة، المنتشرة في مواقع محددة (تعرف بمحطات الاستقبال والبث) وذلك لإيجاد خلايا صغيرة متعددة يمكن للهاتف النقال التابع للخلية الاتصال بها بوضوح. وتبث وحدة الهاتف النقال على نطاق ترددي بين ٨٩٠ و٩١٥ ميقاهيرتز، في حين تستقبل على نطاق بين ٩٣٥ و٩٦٠ ميغاهيرتز. ووفقاً لمعايير الاتحاد الدولي للاتصالات اللاسلكية تكون قوة الإشعاع الصادر من محطة الاستقبال والبث في العادة ١٠٠ واط، في حين تكون أعلى قوة إشعاع ممكنة من الهاتف النقال ٦ر٠ واط.

والطاقة المشعة هي عبارة عن طاقة كهرومغناطيسية تتكون من موجتين، وتنطلق من المصدر، وهو الهاتف النقال، إلى الهواء الخارجي. والموجتان المذكورتان هما عبارة عن طاقة كهربائية وطاقة مغناطيسية، وبالتالي فإن كلمة كهرومغناطيسي تصف الطاقة التي تشع من الجهاز.

وقد أثيرت، مؤخراً، مخاوف تتعلق بالصحة حول الطاقة التي تشع من الهواتف النقالة، إذ اشتكى بعض مستعملي تلك الهواتف من الشعور بالإعياء والصداع عند استعمالها، وقال بعض العلماء: إن الطاقة الكهرومغناطيسية الصادرة من هوائيات أجهزة الهاتف النقال تؤثر على المخ وقد تسبب السرطان على المدى الطويل. ورغم أن بعض العلماء يشككون في صحة هذا الرأي، إلا أن الجميع يتفق على ضرورة إجراء المزيد من الأبحاث قبل التوصل إلى أية نتائج حاسمة حول الآثار الصحية الناجمة عن استخدام الهاتف النقال.

وقد بدأ الحديث عن المخاوف الصحية المتعلقة باستخدام الهاتف النقال في عام ١٩٩٣م، عندما ادعى شخص من ولاية فلوريدا الأمريكية في مقابلة تلفزيونية على قناة «سي إن إن» أن زوجته ماتت بسبب ورم في المخ من جراء استعمال الهاتف النقال. وقد تسببت تلك المقابلة التلفزيونية وما تبعها من اهتمام في أجهزة الإعلام في إثارة مخاوف الناس من استعمال الهواتف النقالة. كما أثارت فزع الشركات التي تعمل في صناعتها.

ففي عام ١٩٩٦م ادعت الصنداي تايمز اللندنية في مقال نشرته بعنوان «الخطر: الهواتف النقالة يمكن أن تهلك مخك»، أن إشعاع التردد اللاسلكي الصادر من الهواتف النقالة قد يؤثر على المخ. واستند المقال إلى دراستين غير منشورتين في الولايات المتحدة وبريطانيا. إلا أن المسؤولين الأمريكيين المتصلين بالدراسات التي تجرى على الأمراض الخبيثة الناتجة عن الاتصالات اللاسلكية وصفوا البحث الذي استندت إليه الصنداي تايمز في مقالها بأنه بحث غير دقيق ومضلل.

أثيرت، مؤخراً، مخاوف تتعلق بالصحة حول الطاقة التي تشع من الهواتف النقالة، إذ اشتكى بعض مستعملي تلك الهواتف من الشعور بالإعياء والصداع عند استعمالها

وحتى الآن لم تجر سوى دراسة واحدة شاملة عن صحة مستعملي الهواتف النقالة. وقد أجرى تلك الدراسة الدكتور كجل هانسن من السويد، وشملت ١١ ألف فرد يستخدمون الهواتف النقالة. وفي ١٥ مايو ١٩٩٨م، أفاد الدكتور كجل بأن أعراضاً مثل الشعور بالإعياء والصداع وحرقان الجلد هي أعراض يزداد شيوعها بين الأفراد الذين يستعملون الهواتف النقالة لفترات طويلة.

التجارب التي تؤيد وجود آثار صحية سلبية

إن أغلب الأدلة التي تشير إلى تسبب الهواتف النقالة في سرطان المخ مبنية على الحالات الفردية التي يتم التبليغ عنها. وتعتمد تلك الحالات على الملاحظة فقط، ولا تستند إلى أساليب علمية أو تحليلية. وبالتالي فإن تلك المعلومات تعد افتراضات في ظل غياب دليل علمي محدد.

وقد أجريت بعض التجارب على الحيوانات لمعرفة آثار القوة الإشعاعية للهواتف الخلوية على أجسامها. وأظهرت نتائج تلك التجارب أن التعرض لإشعاعات الموجات القصيرة الضعيفة يؤدي إلى حدوث ارتفاع في ضغط الدم ويمكن أن يساعد على الإصابة بالسرطان. لكن تلك النتائج لا تثبت بالضرورة أن أجسام البشر تتأثر بالقدر نفسه، وذلك بسبب اختلاف جزيئات جسم الإنسان عن مثيلاتها في

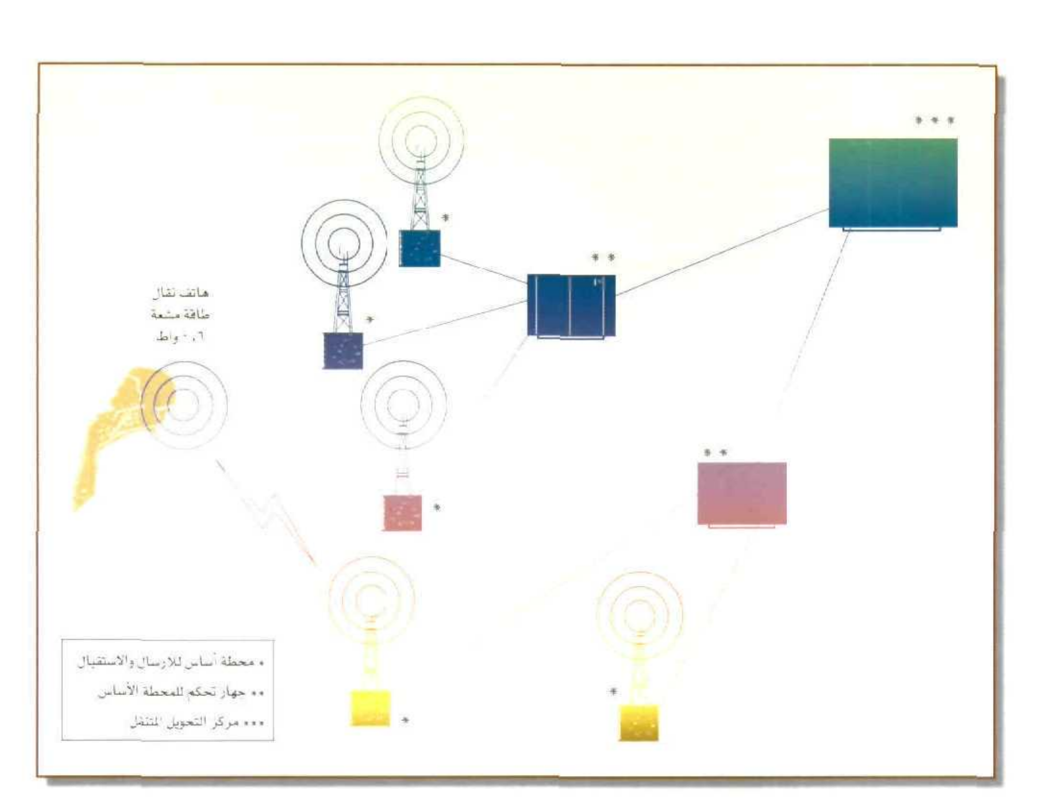


يتزايد أعداد مستخدمي الهواتف النقالة في جميع أنحاء العالم.

جسم الحيوان. فامتصاص جسم الإنسان للطاقة الموجودة في تلك المجالات يختلف عن امتصاص جسم الفئران لها.

وقد أُجرى في ألمانيا بحث على عشرة من المتطوعين لديهم هواتف نقالة يستعملونها على الناحية اليمنى من أدمغتهم. وتم تشغيل الهواتف وإغلاقها بواسطة التحكم عن بعد في فترات مختلفة، ولم ينتبه المتطوعون لذلك. وكان البحث يهدف إلى بيان الآثار المكنة على ضغط الدم عند البالغين الذي يستخدمون الهواتف النقالة . ويقول التقرير إنه عند تشغيل الهاتف أثناء حمله، ارتفع ضغط الدم بمقدار بسيط.

ولا يمكن اعتبار نتيجة ذلك البحث دليلاً على أن الهواتف النقالة ترفع ضغط الدم، وذلك للأسباب الآتية :



شبكة الهاتف النقال

- العينة الصغيرة التي تم اختيارها لم تكن عينة ممثلة لقطاع واسع من الناس وبالتالي لايمكن الافتراض بأن نتائج البحث تنطبق على الجميع.
- الارتفاع المسجل في ضغط الدم كان طفيفاً، أي بالقدر الذي قد تسببه مناقشة حامية.
- ليس هناك أية آليات بيولوجية متفق عليها لشرح النتائج التي توصل إليها الباحثون.

الدراسات التي تقول بعدم وجود آثار صحية سلبية

في عام ١٩٩٣م نفذ الاتحاد الأوروبي للبحوث العلمية والفنية في مجال الاتصالات اللاسلكية، مشروع بحث عن الإشعاع الإلكترومغناطيسي العالي التردد المستخدم في وسائل الاتصالات النقالة وأفاد هذا المشروع بأنها لاتسبب السرطان ولا تساعد على الإصابة به.

من جانب آخر لم تتوصل السويد وهي من أكبر أسواق الهواتف الخلوية، إلى وجود أي دليل على أن هذه الهواتف الخلوية تسبب السرطان. وقد صرحت جامعة «لند» في السويد أن البحث الذي أجرته في هذا الصدد أثبت أن الإشعاع الالكترومغناطيسي لا يساعد على الإصابة بالسرطان جراء التعرض لمستويات التردد غير الحراري من مستوى ٩١٥ ميغاهيرتز. غير أن السويد تدرس وضع قيود على المنتجات التي يصدر عنها إشعاع الكترومغناطيسي.

أفادت بعض الدراسات بأن أعراضاً مثل الشعور بالإعياء والصداع وحرقان الجلد يزداد بين الأفراد الذين يستعملون الهواتف النقالة لفترات طويلة

وفي أبريل ١٩٩٦م، توصلت هيئة مستقلة (المفوضية العالمية للحماية من الإشعاع غير المؤين)، إلى أنه ليس هناك دليل على وجود ارتباط بين الإصابة بأمراض خطرة مثل السرطان والتعرض للترددات اللاسلكية سواء أكانت تلك الترددات ضمن المستويات المسموح بها أم أقل منها.

وفي ٢٣ مايو ١٩٩٧م، أفاد تقرير لوكالة رويتر بأن صناعة الاتصالات اللاسلكية لم تتوصل إلى وجود آثار صحية للإشعاع الإلكترومغناطيسي الصادر عن الهواتف النقالة. وقد استندت هذه النتيجة إلى دراسة بدأتها معاهد فنلندية في عام ١٩٩٤م، واختبرت خلالها ١٩ شخصاً بالإضافة إلى فأر واحد، تم تعريضهم جميعاً للإشعاع الصادر من الهواتف النقالة. وقد وجدت المعاهد التي أجرت البحث أن مخ الإنسان يحوّل موجات الهاتف النقال اللاسلكية إلى حرارة بعيدة كل البعد عن معدلات الخطر.

وعلى مدى السنوات الأربعين الماضية أجريت مئات الدراسات حول الآثار الصحية للمجالات الإلكترومغناطيسية للترددات التي تصل إلى ٣٠٠ ميغاهيرتز. ولم يتوصل أي من هذه الدراسات إلى وجود دليل على حدوث تلف في المخ بسبب استعمال الهواتف النقالة.

وفي عام ١٩٩٣م صرحت جريدة «توك» الصادرة عن إدارة الغذاء والدواء الأمريكية، أنه لم يتوفر لديها معلومات كافية في ذلك الوقت تنفي احتمال وجود الخطر، وانه إذا كان هذا الخطر قائماً فإنه من المحتمل أن يكون ضئيلاً. وإذا استمر قلق الناس، فإنه بالإمكان اتخاذ بعض الإجراءات الاحترازية لمنع الخطر المحتمل.

وأشارت دراسة أجراها معهد الأمراض الوبائية في ولاية ماساتشوسش إلى أن الهواتف النقالة يحتمل ألا تشكل خطراً على الصحة في المدى القريب. وعقدت هذه الدراسة مقارنة بين معدلات الوفاة بين ربع مليون شخص من مستخدمي الهواتف اللاسلكية على مدى ثلاث سنوات، ولم تتوصل إلى أية زيادة في معدلات الوفاة بينهم.



يستخدم البعض سماعة توصل بالهاتف لتجنب الاشعاعات الصادرة من الجهاز

وفي ٧ مايو ١٩٩٧م، صرح الدكتور بروس هكنق، كبير المسؤولين الطبيين السابق في شركة الاتصالات اللاسلكية الاسترالية «تلسترا»، بأنه أجرى دراسات على أشخاص يستعملون الهواتف النقالة ويعانون من أعراض معينة عند استعمالها مثل الشعور بالحرقان والتنميل على جانب الرأس الذي يوضع عليه النقال. ولم يتبيّن وجود دلائل علمية قاطعة تثبت خطر الهواتف النقالة على الصحة، إلا أن هناك عدداً متزايداً من الناس يتحدى هذه المقولة في ساحات المحاكم.

وفي ١٥ مايو ١٩٩٨م، نقلت وكالة رويتر عن باحثين سويديين قولهم بأنهم وجدوا علاقة واضحة بين استعمال الهواتف النقالة والشعور بالتعب والصداع والحساسية مع حرارة في الأذن والجلد. وأظهر مسح لنحو ١١ ألف سويدي ونرويجي أن الأعراض زادت بين من يستخدمون تلك الهواتف بوتيرة أعلى. وصرح الدكتور «كجل هانسون» من المعهد الوطني السويدي، لوكالة رويتر بأن زيادة الشكوى من الأعراض تزداد بزيادة استعمال الهواتف. وأضاف بأننا بحاجة إلى إجراء المزيد من الدراسات لتأكيد ما تم التوصل إليه وللتعرف على دور العوامل الفيزيائية المختلفة. وأضاف أن فرص الإصابة بالتعب تضاعفت بين المشاركين النرويجيين الذين يستعملون الهواتف النقالة بمعدل يتراوح بين ١٥ إلى ٦٠ مرة في اليوم، مقارنة بمن يستعملونها لأقل من دقيقتين في اليوم.

قياس الأثر الأشعاعي على خلايا الجسم

تعتمد معايير قياس التعرض للإشعاع على قياس «معدل الامتصاص» أي قياس الطاقة التي تمتصها خلايا الجسم ثم تطلقها كحرارة. واستعملت الدراسات التي أجريت حول معدل الامتصاص أساليب متعددة لتحديد معدل امتصاص الطاقة في الأنسجة المعرضة للإشعاع.

ويعرف معهد المعايير الوطني الأمريكي معدل الامتصاص بأنه «المعدل الزمني الذي يتم فيه نقل الطاقة الكهرومغناطيسية للتردد اللاسلكي إلى عنصر أو كتلة في الجسم البيولوجي». ومعدل الامتصاص هو انسياب الطاقة في وحدة الكتلة مقاساً بوحدات الواط في الكيلوجرام. وعند الحديث عن أنسجة جسم الإنسان، فإن ذلك يعني أن معدل الامتصاص هو قياس الحرارة التي تمتصها الأنسجة.

وتحدد اللجنة الفيدرالية للاتصالات في الولايات المتحدة الحد الأقصى لكثافة الطاقة المنبعثة من الأجهزة التي تعمل على نفس حزم الترددات المخصصة للهواتف الخلوية، بمقدار أربعة ميللواط في السنتيمتر المربع. أما الأجهزة التي يغطي الإشعاع الصادر منها ٢٠ سنتيمتراً من جسم الإنسان، مثل الهواتف الخلوية، فيكون أقصى معدل امتصاص لها ١،٦ واط في الكيلوجرام حسبما يتم قياسها في كل جرام من الأنسجة.

قياس معدل الامتصاص

يتم قياس معدل الامتصاص مباشرة من واقع زيادة الحرارة في منطقة محددة من الأنسجة. ولقياس معدل الامتصاص مباشرة، يلزم توصيل أجهزة قياس السعرات بالخلية الحية لمستعمل الهاتف.

وقد أجريت عدة دراسات لتحديد معدل الامتصاص في الأنسجة المعرضة للإشعاعات الضعيفة الصادرة من أجهزة الهاتف النقال. وشملت تلك الدراسات قياس معدل الامتصاص في نماذج بسيطة للأنسجة وقياس معدل الامتصاص في نماذج من الأدمغة البشرية.

وقد أوضحت بعض الدراسات الأمريكية أن الحد الأقصى المعقول للتعرض للإشعاع الذي يمكن التعرض له أثناء الاستعمال العادي للهواتف النقالة، يجب ألا يزيد على ١,٦ واط في الكيلوغرام.

وقد توصل العلماء إلى أن تعرض الإنسان لإشعاعات الهواتف النقالة يجب ألاّ يتخطى الحدود التي وضعها معهد المهندسين الكهربائيين والإلكترونيين، ومعهد المعايير الوطني الأمريكي. وتبين نتائج الدراسات أن الاستعمال العادي المتقطع للهواتف النقالة من شأنه أن يعرض الإنسان لقدر قليل من الإشعاع لايصل إلى الحدود القصوى المسموح بها.

درع الهاتف

تنفق الوكالات الحكومية وشركات صناعة الهاتف النقال ملايين الدولارات على بحث ودراسة الآثار المحتملة لاستعمال الهواتف النقالة، ولا يوجد ما يضمن منع حدوث المرض.. لذا قامت بعض الشركات بتصميم واختبار أجهزة تقلل من التعرض للإشعاع الصادر من الهواتف النقالة إلى أدنى حد.

في عام ١٩٩٦م، توصلت هيئة مستقلة، إلى أنه ليس هناك دليل على وجود ارتباط بين الإصابة بأمراض خطرة مثل السرطان والتعرض للترددات اللاسلكية سواء أكانت تلك الترددات ضمن المستويات المسموح بها أم أقل منها

ومعظم الموجات الإشعاعية يأتي من هوائي الهاتف، في حين يأتي بعضه من السماعة التي تلتصق بأذن المستخدم. ويوفر درع الهاتف وسادة للحماية بين الأذن والهاتف، والدرع مصمم لتحويل الإشعاع الذي يمكن أن يكون ضاراً بعيداً عن الرأس وهو يوفر منطقة عازلة لفصل مجال الإشعاع الصادر من السماعة وقاعدة هوائي الهاتف الخلوي، وتحويله بعيداً عن رأس المستخدم. وقد أجريت اختبارات عديدة على استعمال درع الهاتف، وثبت أنه يقلل الإشعاع الصادر من السماعة بمقدار النصف.

الخلاصة

لا يوجد دليل علمي حتى الآن على أن الإشعاع الصادر من الهاتف النقال يمكن أن يكون ضاراً، كما لا يوجد دليل على أنه غير ضار. لكن كما ذكرنا سالفاً، فقد ادعت تقارير غير متفق على صحتها، أن استعمال الهواتف النقالة يسبب الصداع والسخونة في الدماغ وربما سرطان المخ إلا أن تلك التقارير يعوزها الدليل العلمي ولم تنشر في دوريات علمية متخصصة.

ولا توفر الدراسات القليلة التي أجريت على الإنسان أية معلومات قاطعة عن الأخطار الصحية التي تسببها الهواتف النقالة إذ أن مرض سرطان المخ مثلاً موجود قبل مجيء الهواتف النقالة بزمن طويل، ومن الصعب تحديد حالات سرطان المخ التي يرجع السبب فيها إلى استعمال الهواتف النقالة.

وقد أعلنت لجنة معهد جمعية المهندسين الكهربائيين والإلكترونيين في الولايات المتحدة، المختصة بموضوع الإنسان والإشعاعات أن التعرض لمجالات الترددات اللاسلكية الصادرة من الهواتف النقالة لفترات طويلة في حدود المعدلات المسموح بها أو بمعدلات أقل منها، لا يشكل خطراً على صحة الإنسان. وأعلنت هيئات واتحادات مهنية معنية بشؤون الاتصالات نتائج مختلفة يمكن إيجازها فيما يلي:

- لم يثبت وجود علاقة بين استعمال الهواتف النقالة وأورام المخ أو الأورام السرطانية الأخرى لدى الإنسان. واستعمال الهواتف النقالة لا يسبب ولايمكن أن يسبب حرارة كبيرة أو طاقة كيميائية كافية لإحداث تغييرات في الهيكل الجزيئي للخلية.
- حاولت بحوث عديدة الربط بين استعمال الهواتف النقالة وعدد من الأمراض والاضطرابات. وعلى الرغم من أن أياً من تلك البحوث لم يتمكن من التوصل إلى دليل حول هذا الموضوع، فإن اتحاد الاتصالات عبر الأقمار الصناعية يواصل بحوثه للتأكد بشكل قطعي من عدم وجود علاقة بين استعمال الهواتف الخلوية وأي نوع من أنواع السرطان.

وقد لخّص أحد كبار المحللين الآراء السائدة في هذا الخصوص بما يلي:

- يوجد دليل على أن الإشعاع الصادر من الهواتف النقالة يسبب ارتفاع ضغط الدم.
- لا يوجد دليل حتى الآن على وجود علاقة بين حدوث الأورام أو تأثر الذاكرة باستعمال الهواتف النقالة.
- هناك حاجة ماسة لإجراء المزيد من البحوث حول هذا الموضوع، ومهما كانت الآثار المترتبة على استعمال الهواتف النقالة، فإن الخطر الذي يتعرض له الإنسان من جراء استعمالها ضئيل جداً.
- إن تحويل الهوائي ست بوصات بعيداً عن الدماغ يمكن أن يقلل التعرض للإشعاع بدرجة كبيرة.

ولكن من المهم علينا إدراك المخاطر المحتملة لاستعمال الهواتف الخلوية لحين التوصل إلى المزيد من المعلومات حول آثارها الصحية المحتملة، ولايوجد دليل جازم حتى الآن يثبت أن استعمال الهواتف النقالة يسبب أحد أمراض السرطان. ■

* الموضوع مترجم من مجلة «سعودي أرامكو جورنال أوف تكنولوجي» عدد الربيع عام ١٩٩٩م.

الشعر .. والناس

بقلم: هادي ياسين

لمن يكتب الشاعر قصيدته ؟ لنفسه؟ أم للناس الذين يعاصرونه ؟ أم للتاريخ؟ سؤال ، كهذا ، يطرحه الجميع: الشاعر والتاريخ والناس معاً. ويجد الشاعر الحقيقي نفسه محاصراً بهذا السؤال، كلما راجع نفسه، وتأمل نتاجه الشعري.

بدءاً ، علينا أن نقرر أن ثمة تفاوتاً بين شاعر وآخر على مستوى العطاء. والتفاوت الذي نقصده لا يمس الكم في الإنتاج أو مضامين أو أشكال قصائد الشاعر، بل يمس جوهر الشاعر ذاته .. فثمة شاعر يمتلك غنىً روحياً رفيعاً ويلامس فكره وتيرةً حساسةً من الوعي، وفضلاً عن هذا فإنه يمتلك سلطاناً شديداً على اللغة، وخلقاً مدهشاً للصورة الشعرية.. هذا الشاعر يقترب اقتراباً شديداً من العبقرية في الشعر. وقد يكون في دائرتها.. وهناك شاعرٌ آخر تتفاوت لديه نسب من هذه المقومات المشار إليها آنفاً . وهذا النوع من الشعراء قد يمشي على خط مستقيم في الشعر. إما أن توصله إلى مكانةٍ متقدمةٍ في الشعر، أو تذبل قواه في منتصف الطريق فيؤول إلى الانطفاء .. وثمة (شاعر) ثالثٌ يولد منطفئاً، ولكنه يصر على أنه شاعر، وهو لا يكتفي بما هو عليه، بل يصر على أن يتبوأ مكانة آخرين لم يصلوا إلى مكانتهم بغير الهيام الشعري، والاحتراق الداخلي ورصدهم الدائم والتقاطهم لكل ما يغني الشعر في الحياة وما يخلق الدهشة.

إن الصنف الثالث، هو صنف ميتٌ، دون شك، ولكنه يظهر مع كل جيل شعري، وفي كل أمة. وهو ضروري في بعض الحالات، لا من أجل مقارنة الصنف الشعري الجيد به، إنما من أجل شحذ الحماس الشعري به خوفاً على حياة الشعر ومستقبله من الطفيليين الدائمي الظهور في المشهد الشعري على مرّ الأزمان والأمم.

ولكن، من الذي يقرر قوة شعرية هذا الشاعر أو ذاك؟ ومن الذي يقرر أن هذا يدخل ضمن دائرة الشعر وذاك خارجها؟ هل هو الشاعر نفسه؟ أم الناس؟ أم التاريخ؟ أم النقد؟ هذا هو السؤال الذي يتحفظ المرء عن الإجابة عنه إجابة كاملة.

فالمرء عندما يكتشف في نفسه هاجساً إيجابياً تجاه الشعر، ويجرب مقدرته في الاقتراب منه والدخول في غابته، فإنه يتحسّس وجود الشاعر في ذاته. ولكن يبقى سلوك المرء تجاه هذا الشاعر المولود في الذات هو الذي يعطي النتيجة في : القضاء عليه بسبب الانقياد وراء اغواءات أخرى، وبالتالي الانقياد وراء خطاه.. لكن هل يكفي ذلك للاعتراف بالشاعرية، وبالتالي احتلال مركز الضوء في الشعر؟

> **الشاعر هو ابن الواقع، في أي حال من الأحوال. وإذا كان البعض قد صوّر للناس أن الشاعر يهبط على بساط من ذهب أو أنه مختلف عن الناس، فهذا وهمٌ كبير**

إن الشاعر هو ابن الواقع، في أي حالٍ من الأحوال. وإذا كان البعض قد صوّر للناس أن الشاعر يهبط على بساط من ذهب أو أنه مختلف عن الناس، فهذا وهمٌ كبير. إن الاختلاف إنما هو في الرؤية، وفي التفكير والنظرة إلى الأشياء والعالم والوجود. وامتلاك ناصية أداته المتمثلة باللغة، وإفراغ شحنته الروحية ورؤياه وصور تفكيره بواسطة هذه الأداة التي يختلف في استخدامه عن سواه لمفرداتها بطريقة خاصة بالحقل الشعري.. وما عدا هذا الامتياز فالشاعر فرد بين الناس.. ومن هذا فإن الناس يجدون أن لديهم الحق في تقرير شاعرية هذا الشاعر أو ذاك.

إن حقاً كهذا حقٌ قائمٌ . ولكن الخطأ قائم في كثير من أحكام الناس. بسبب تباين فهمهم للشعر أصلاً. كما أن الناس غالباً ما تريد من الشاعر شعراً تفهمه فهماً مباشراً. وهذه هي نقطة التصادم الأساس بين الشاعر والناس. ذلك أن الناس هنا إنما تجرّد الشعر من خصوصيته، وقد لعبت بعض الأفكار في القرن العشرين على تكريس هذا الأمر من خلال مفهوم الفن للمجتمع. على اعتبار أن الفن مقترن اقترانا مباشراً بالمجتمع (في

التأثر والتأثير). ولكن حقيقة الأمر أن هذه الأفكار إنما تسعى لكسب الناس على حساب حقيقة الفن التي ينبغي أن تكون معروفة لدى الناس دون محاولة إعمائهم عنها.

على أن هذا التشويش هو خارج الشعر، أنه في المنطقة المحيطة به. ولكن هناك من يسيء إلى فهم الشعر من داخل منطقة الاشتغال به نفسه. فالتجديد ذاته كان وسيلة بيد (المتشاعرين) للإساءة إلى الشعر والناس معاً. فاستسهلوا شكل القصيدة الجديد (في الشعر الحر) فكتبوا فجّ الشعر، وسطّروا أرذل القصائد بما جعلها سلاحاً في يدي النقاد المناهضين للشعر الحر. الأمر الذي شكّل بداية نفور الناس من هذا الشعر الجديد، حتى تبيّن لهم بمرور الزمن (الخيط الأبيض من الخيط الأسود) في الشعر، وعرف الناس وميزوا بين الشعراء الجادين وبين المسيئين للشعر. هكذا، دائماً، تسقط الأوراق الاصطناعية عن شجرة الشعر المعمرة، فيما تبقى الأوراق الحقيقية.

لقد كان للناس ما يبرر لهم رفضهم للقصيدة الجديدة، فقد تعودت أسماعهم على إيقاع ثابت في موسيقى القصيدة العربية التقليدية واعتادت أبصارهم على صورة ثابتة لشكل البيت الشعري، ورتبت مخيلاتهم وفق نمط معين من الصور والتراكيب الشعرية، وقد ساعدت المناهج المدرسية والجامعية كثيراً في تكريس كل ذلك. حتى إذا ما جاء البنيان الجديد للقصيدة في توزيعه الجديد للتفاعيل وفي تراكيب صوره الشعرية وبالتالي اختلاف الإيقاع ومن ثم شكل الشطر الشعري، أحدث إرباكاً في تعاملهم مع هذا الوافد الشعري الجديد.

لكن، هل المشكلة هي مشكلة الشعر المعاصر؟ لا، بالتأكيد، فهذه مشكلة قديمة قدم الشعر نفسه ومتجددة مع أغلب الأجيال الشعرية ومع أية انتقالة نوعية في الشعر.. في الماضي والآن ومستقبلاً.

حفظ التاريخ حقوق أبي تمام وصان شرف مبادرته ودوره الريادي، ولكن التاريخ ما كان ليفعل ذلك لو لم يكن فعل أبي تمام جديراً به

لقد أقيمت الدنيا وأقعدت على رأس (أبي تمام) يوم جدّد في القصيدة العربية. وتعالت الأصوات ضده مطالبة بوضع حدّ لـ (تماديه) على الشعر العربي. ومرة أخرى كانت مشكلة الناس مع الشاعر هي مطالبتهم بقصيدة (مفهومة) من قبلهم. ولكن (أبا تمام) يعدّ واحداً من الذين بعثوا ماء الحياة في القصيدة وجددوا شبابها. فأين هم الآن أولئك الذين وقفوا ضده ..؟

إننا، نقول الآن، إن التاريخ قد حفظ حقوق أبي تمام وصان شرف مبادرته ودوره الريادي، ولكن التاريخ ما كان ليفعل ذلك لو لم يكن (فعل) أبي تمام جديراً به. وينسحب هذا الأمر على جميع المجددين الحقيقيين ورواد حركات التجديد في مجمل مجالات الإبداع الإنساني. ومن دون شك فإن هؤلاء المجددين قد عانوا الكثير في بحثهم وسهرهم على خلق وسائلهم التجديدية وفي مواجهة التقليديين والتصدي لهم، حتى استطاعوا في النهاية، أن يثبتوا جدارة وجدوى طروحاتهم، وبالتالي تسوية الطريق أمام الأجيال اللاحقة كي تمارس تجديدها الخاص في أزمانها.

ولكن في الوقت الذي يقضي الشاعر ليالي كاملة من أجل إنجاز قصيدة ذات جدوى في هذا العالم، أو يمضي سنوات في إنجاز ديوان صغير ذي أثر، يأتي القارئ ليقرأ باسترخاء قصيدة الشاعر خلال دقائق ويطلق حكمه المتسرع عليها، وهو حكم لا يستند إلى أي جهد في فهم معنى الشعر وفهم جهد الشاعر في شعره.

إن الشاعر يعرف هذا، ولكنه يغض النظر ويقول في قرارة نفسه: ليكن. سيأتي يومٌ يبدّل فيه الناس أحكامهم. وإذا ما أردنا الدقة فإن الشاعر يقصد أن الناس في المستقبل سيكونون أكثر صفاءً في الفهم وأكثر تفاعلاً مع القصيدة وأقل انفعالاً مع الشاعر. وإذ يحدث ذلك، تتضح حقيقة أن الشاعر قد سبق زمان الناس في فهم معنى الشعر.

ولكن الناس تطالب الشاعر الذي عاصروه مطالبة واضحة في حقهم في أن يفهموا شعره ويستمتعوا به. وهنا قد يحق للشاعر أن يطرح سؤال أبي تمام عن عدم فهم شعره، وهو: (لماذا لا يفهم الناس ما أقول؟). ■

الخواص العلاجية لنبات الحنّــاء

بقلم: هاطل هاشم أحمد الكمالي*

ينتمي نبات الحنّاء إلى العائلة الحنّائية Lythraceae. ومن أسمائه العربية: حنة، تمر حنا، زهرة الحنّة، فاغيا. ويزرع هذا النبات في السودان والمملكة العربية السعودية ومصر وتونس وليبيا. وهو نبات شائع النمو خاصة في شمال وأواسط السودان حيث يزهر في شهري أبريل و أغسطس ويثمر ما بين شهري يونيو و أغسطس. ويتكاثر هذا النبات غالباً بالتعقيل.

ولأوراق الحناء استخدامات طبية في الشرق الأوسط وآسيا، كما أن لبذور النبات العديد من الاستخدامات الطبية في شمال إفريقيا والهند وسيرلانكا. (١) (٢) (٣) (٤).

الوصف النباتي

الحنّاء نبات شجيري أو شجرة صغيرة قد يصل ارتفاعها إلى خمسة أمتار، غصونه خضراء اللون عند النضج تتحول إلى اللون البني أو الأحمر. الأوراق بسيطة،متقابلة، شبه جالسة، إهليلية أو بيضاوية الشكل قد يصل طولها إلى أكثر من ٤,٥ سنتيمتر. وللنورات حوامل طويلة إبطية أو طرفية تحمل العديد من الأزهار الصغيرة ذات اللون الأصفر المخضر والرائحة الطيبة، كما أن لها قنابات ورقية. أما ثمار نبات الحنّاء فهي معلبة ملساء تحتوي على بذور هرمية الشكل غير حيوية. (٥) (٦) .

الاستخدامات الشعبية لنبات الحنّاء

تستخدم الأوراق في الطب الشعبي السعودي لعلاج الروماتيزم والآلام والحمى. كما تستخدم أيضاً كقابض وكمطهر، ومسكن

لمسحوق الحناء استخدامات طبية وتجميلية عديدة

* محاضر بقسم النبات في جامعة أم درمان.

لعلاج اليرقان (٧). وفي الطب الشعبي الليبي تستخدم الأوراق في التئام الجروح وتطهيرها وفي علاج الحساسية الجلدية والتهاب ما بين الأصابع (٨). وقد ذكر معالي العماد طلاس في كتابه «المعجم الطبي النباتي» أن أوراق نبات الحنّاء تستخدم ضد الفطريات الجلدية، أو مادة مطهرة، كما يستخدم مسحوقها لتلوين اليدين والقدمين والشعر. أما الأوراق والأزهار فتستخدم لعلاج آلام الرأس والصداع، وفي تطهير الجروح والقروح وكملطف للالتهابات. وفي الطب الشعبي الهندي يستخدم اللحاء في علاج اليرقان، وتضخم الطحال وفي تقليل ألم الحصوة إضافة إلى استخدامه في علاج الأمراض الجلدية. كما تستخدم الأوراق للوقاية من الأمراض الجلدية. وتستخدم البذور في تقليل إدرار الطمث الغزير، وفي علاج الإفرازات المهبلية والسيلان الأبيض. كما يستخدم منقوع البذور لعلاج الصداع وكذلك الكدمات مع قليل من العسل والصمغ. وفي الطب الشعبي اليوغندي يستخدم زيت البذور كدهان للجسم يساعد على تقليل الآلام. أما في الطب الشعبي الغيني فتستخدم الأوراق لعلاج الجذام. ويتناول سكان غرب إفريقيا مسحوق البذور ليعطي تأثيراً منبهاً للمخ (٩). وقد ذكرت جوليت دي بيراكلي ليفي Juliette de Bairacli Levy في كتابها «دليل الأعشاب المصورة The Illustrated Herbal Handbook» أن خلطة الحناء مقوّية للشعر لأن لها خواص مبردة، لذا تستخدم لتخفيض الحرارة كما تستخدم كلبخة ضد لسعات الحشرات وفي علاج الصداع وفي حالات اليرقان وكلبخة أيضاً لتقليل التورمات في الأقدام (١٠).



تجد شجيرات الحنّاء بيئة مناسبة للنمو في واحات النخيل بالمملكة

أكدت بعض الدراسات أن أوراق الحناء تحتوي على عنصرين فعالين أحدهما ينبه القلب والآخر يسبب ارتخاء العضلات

الاستخدامات في التراث العربي

يقول داود الأنطاكي عن نبات الحناء «مسحوقه عظيم النفع في قلع البثور، وماؤه يذهب اليرقان ويفتت الحصى ويقطع النزلات والصداع، وهو مع السمن يحل الأورام وأوجاع المفاصل»(١١).

المكونات الكيميائية لنبات الحناء

تحتوي أوراق نبات الحناء الذي ينمو في المملكة العربية السعودية

على فلافونيدات ومواد عفصية، وأنثراكينونات، إسترولات وتربينات ثلاثية، وجلايكوسيدات قلبية وجلايكوسيدات سيانوجينية (١٢) (١٣). ويحتوي المستخلص الإيثانولي لأوراق نبات الحناء، على أحد عشر مركباً من الجلايكوسيدات الفلافونية Flavone Glycosides وأهمها أبيجينين وليوتيولين luteolin (١٤) ويحتوي مسحوق الأوراق والأغصان الغضة على مركب صبغة اللاوسون lawsone، بالإضافة إلى وجود مواد راتنجية ودهنية. أما أوراق النبات فتحتوي على جلايكوسيدات فينولية (١٥). كما تحتوي سيقان نبات الحنا الذي ينمو في الهند على مركب آيزوبلمباجين isoplumbagin (١٦). وتحتوي جذور نبات الحناء على سكريات مختزلة وإسترويدات وتربينات ثلاثية وجلايكوسيدات وفلافونيدات ومواد عفصية (تانينات) وهي خالية من المواد القلوية. كما يحتوي لحاء الساق على مواد تربينية أهمها ديهايدروكسيلوبين dihydroxylupene و dihydroxylupane (١٧). وتحتوي أزهار وجذور وسيقان النبات على سكر المانيتول D- mennitol الذي تصل نسبته في الساق حوالي ٠,٧ ٪ (١٩). وتحتوي أزهار الحناء (الصنف الأصفر) على زيت عطري بنسبة تفوق الزيت الموجود بأزهار الصنف الأحمر. ومن أهم المكونات الرئيسة للزيت العطري (أزهار الصنف الأصفر) بيتا-إيونون B-ionone بنسبة ٤٨,٦٪ واللينالول linalool بنسبة ١٩,٨٪. بينما أهم المكونات الرئيسة للزيت العطري المستخلص من أزهار نبات الحناء (الصنف الأحمر) هي هيكسينول 3-hexenol بنسبة ١٣٪ وكذلك فينيل إيثانول phenyl ethanol بنسبة ١١,٥٪ (١٩). وتحتوي البذور على زيت ثابت بنسبة ١٠ إلى ١١٪. كما ينتج عن التقطير البخاري للبذور زيت بني اللون بنسبة ٠,٠١٪ إلى ٠,٠٢٪.



تتميز أزهار الحناء بلونها الأصفر المخضر ورائحتها الطيبة

الأنشطة البيولوجية لمستخلصات نبات الحناء

يعمل المستخلص الإيثانولي المائي لمسحوق لحاء النبات الجاف على تقليل الاضطرابات الكبدية التي يسببها مركب رابع كلوريد الكربون عند تسميم الفئران بها.

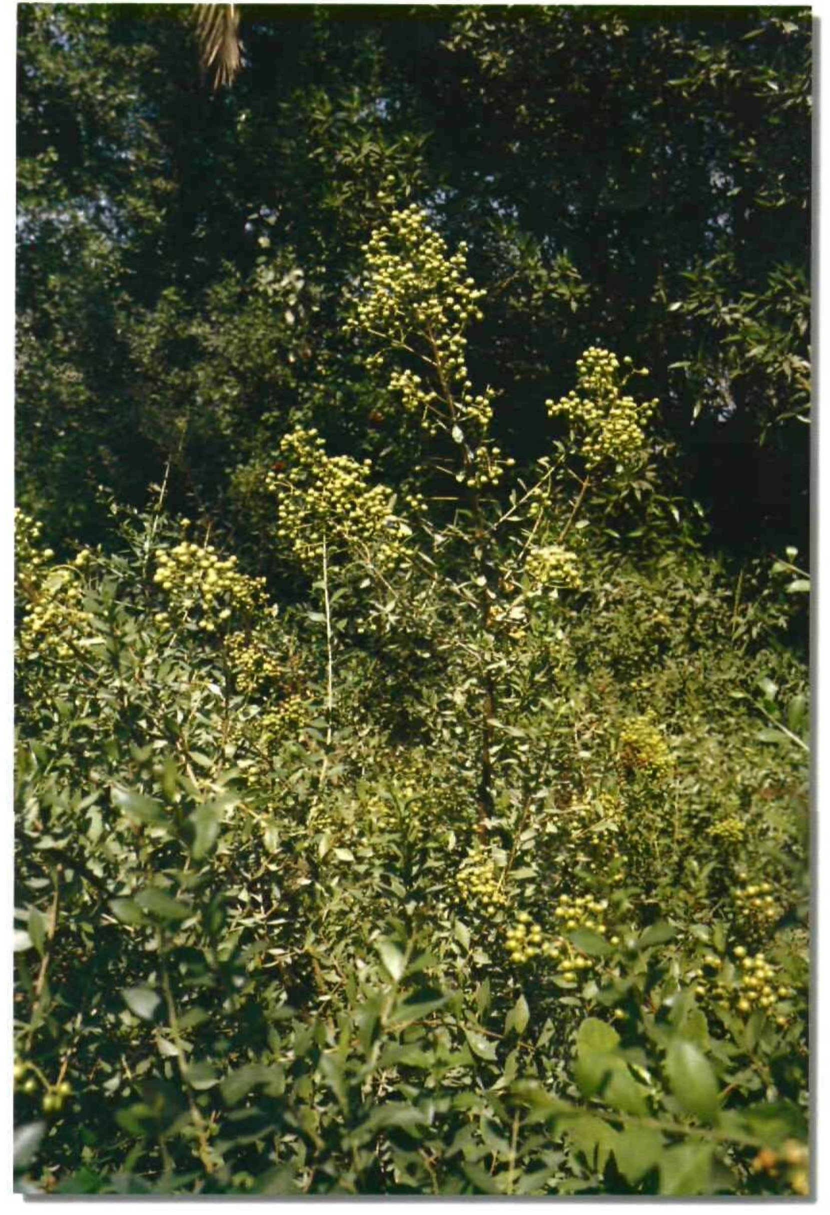
ولمستخلصات أوراق النبات فاعلية ضد الكثير من الكائنات الدقيقة. وتعمل هذه المستخلصات على تثبيط نمو الهيفات الفطرية

للكائنات: Epidermophyton flocossum. وأظهرت مستخلصات الحناء نشاطاً عالياً ضد الأنواع البكتيريَّة: العصوية الرقيقة والعنقودية الذهبية والإشريكية القولونية والزائفة الزنجارية. كما أظهر المستخلص المائي لنبات الحناء نشاطاً عالياً ضد فيروس موزايك التبغ (٢٠) (٢١) (٢٢).

وأظهر المستخلص الإيثانولي الخام لنبات الحناء تأثيراً معنوياً في الفئران كمضاد للالتهابات، وكمخفض للحرارة وكمسكِّن(٢٣). وأثبتت الدراسات أن النشاط التأثيري لجذور ولحاء السيقان كمضاد للالتهابات في الفئران، يعزى لوجود مركب أيسوبلمباغن isoplumbagin وكذلك وجود مركب لوساريتول lawsaritol (٢٤).

كما أكدت بعض الدراسات أن أوراق الحناء تحتوي على عنصرين فعالين أحدهما ينبه القلب والآخر يسبب ارتخاء العضلات. ولمنقوع النبات تأثير على عضلات الرحم.

ومن ناحية أخرى، أظهر زيت بذور الحناء نشاطاً مسكناً لدى فئران التجارب. وأظهر الزيت المستخلص من بذور نبات الحناء نشاطاً قاتلاً للنيماتودا (Nematicidal activity) حيث يصل معدل الوفيات في هذا النوع من الأمراض إلى معدلات عالية (٢٥). ■



ثمار نبات الحناء تتوج الأغصان وهي على شكل حبيبات دائرية صغيرة تحتوي على بذور هرمية الشكل

المراجع:

١- طلاس، العماد مصطفى «المعجم الطبي النباتي» ص ٤٥٠-٥٠٧.

٢- «النباتات الطبية والعطرية والسامة في الوطن العربي» المنظمة العربية للتنمية الزراعية، الخرطوم، ص ٥ ، ١٨ (١٩٨٨م).

٣- القاضي، عبدالله عبدالحكيم والرماح، صفية محمد «استعمالات بعض النباتات في الطب الشعبي الليبي» ، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، ص ٨٢ (١٩٩٢م) .

٤- الانطاكي، داود بن عمر «تذكرة أولي الألباب» (١٠٠٨)هـ .

5 - Bagi M.K: Kakrani H.K; Kalyani G.A; Dennis T.J and Fagdale M.H. (1988). Fitoterapia, 59:1, 39-42.

6 - Commachan M.; Shrivastava J. L and Masih S.K (1990). Indian Journal of Applied and Pure Biology, 5:2, 99-102.

7 - El-Amin H.M "Threes and Shrubs of the Sudan" Ithaca Press Exeter P. 49 (1990).

8 - Broun A.F. and Massey R.E. "Flora of the Sudan". The Government of the Republic of the Sudan. P. 175. (1929).

9 - Aguwa C.N. (1987). International Journal of Crude Drug Research, 25:4, 241-245.

10 - Kokwaro J.O "Medicinal Plants of East Africa". East African Literature Bureau. Kampala, P. 732 (1976).

11 - De Bairacli L. J. "The Illustrated Herbal Handbook" Faber and Faber Limited. P. 76-78 London.

12 - Mohsin A; Shah A. H; Al-Yahya M. A; (1989). Fitoterapia, Vol. LX No. 2, P. 176.

13 - Al-Yahya M. A. (1986) Fitoterapia, Vol. LVII, No. 3 P. 180.

14 - El Negoumy S.I (1991). Bulletin of the National Research Centre Cairo, 16:3, P. 197-199.

15 - Takeda Y and Fatope M. O. (1988). Journal of Natural Products, 51:4, 725-729.

16 - Sarita G; Mohammed A; Alam M.S; Gupta S and Ali M. (1993). Phytochemistry, 33:3, P. 723-724.

17 - Tarakeswar C.; Gurudas P. and Pyrek J.S. (1982). Phytochemistry, 21:7, 1814-1816.

18 - Nurieve L.A. (1987). Khimiya Priodnykh Soedineru, No. 2,P. 290 (Russian).

19 - Wong K. C. and Teng T. E. (1995). Journal of Essential Oil Research. 7:4, 425-428.

20 - Dube S. and Tripathi S. C. (1987). National Academy of Sciences, India, Science letters, 10:2, 45-48.

21 - Nagarajan K; Murthy N. S. and Reddy T.S.N. (1990). Botanical Pesticides in integrated pest management: Proceedings of National symposium held on January 21-22, 1990 at Central Tobacco Research Institute Rajahmundry 533, 105 India, 407-412.

22 - Verpoorte R. and Dihal P. P. (1987). Journal of Ethnopharmacology, 21:3, 315-318.

23 - Ali B.H; Bashir A.K. and Tanira M. (1995). Pharmacology, 51.6, 356-363.

24 - Sarita G.; Mohammed A.; Pillai K.K.; Alam M.S. and Gupta S. (1993). Fitoterapia, 64.4, P. 365-366.

25 - Kumari R.; Verma K.K.; Dhindse K. S. and Bhatti D.S. (1987). Agricultural Science Digest, India, 7:4 213-216.

* صور الموضوع : أرامكو السعودية

الإسلام على قمة العالم

بقلم: هوزيه أغناسيو كابيزون
ترجمة : حكمت العقيلي
تصوير : كافن بييرسكي



في قلب مدينة «لهاسا» بمنطقة التبت الصينية، يظهر اسم المسجد مكتوباً باللغتين العربية والتبتية

كنت أزور مدينة (لهاسا) عام ١٩٩١م عندما رأيت مسجداً تبتياً لأول مرة. وبالطبع يدرك دارسو (التبت) أن هناك مسلمين في تلك البلاد، وأن لهم دوراً هاماً في المجتمع التبتي بيد أن هؤلاء الدارسين يركزون جل اهتمامهم على البوذية، كديانة تعتنقها أغلبية السكان. ويتبع معظمهم في دراستهم ذلك المجتمع نهجاً يفترض مسبقاً، أن حضارة «التبت» هي محض حضارة بوذية غير أنه سرعان ما نتيقن من أن هذا الافتراض تعوزه المصداقية حالما نواجه ما يدحضه ويتحداه: كرؤيتنا لأحد المساجد في قلب مدينة (لهاسا)، أو لدى تجوالنا في أرجاء حيّها الإسلامي.

عند ذاك يجد المرء نفسه مأخوذاً من جديد بتنوع مظاهر الحياة في هذه المدينة وتباين سكانها، ويبدأ بتأمل هذا المركز الحضري من منطقة الهملايا، متخيلاً كيف كان حاله في سالف الزمان، حين كان يؤمه خلق كثير من الهند، ونيبال، وبحتان، ولدخ، وآسيا الوسطى، ومنغوليا، والصين، حينما كانت بلدان جنوب شرقي آسيا تحظى بسهولة الوصول إليه.. خصوصاً إلى مدينة (لهاسا)، التي يعني اسمها باللغة التبتية «مقام آلهة البوذيين».



المؤذن يؤذن لصلاة الجمعة أمام البوابة الداخلية للمسجد الكبير

انتشر الإسلام حتى بلغ التبت من جهتي الشمال والغرب، قادماً من الجزيرة العربية عبر بلاد فارس وأفغانستان. وقد وصل إلى الصين في القرن السابع للميلاد سالكاً طرق نقل الحرير التي كانت تخترق أقاليم آسيا الوسطى. واستمر بالامتداد من منطقة (بكزيا) وما جاورها من التخوم الشمالية، متجهاً جنوباً إلى ما يعرف اليوم بالتبت الشرقية. وقد استقر المسلمون الصينيون، ويدعون «هوي»، في إقليمي (سونغ) و(كوكونر) شرقي التبت، ومارسوا التجارة مع التبت الوسطى. ومع أن الكثيرين منهم استقروا هناك، حيث لا يزال أحفادهم يقيمون، إلا أن بعضهم نزحوا غرباً واستقروا في مدينة (لهاسا)، حيث ما يزالون إلى يومنا هذا يتمسكون بدينهم وتقاليدهم، في مجتمع متماسك.

وقد ثبت في مصادر تبتية عديدة أن حكام التبت خلال القرنين الثامن والتاسع للميلاد، سيطروا على مساحات كبيرة من آسيا الوسطى، تمتد غرباً إلى حدود بلاد فارس. وكان ذلك في حقبة اشتد فيها تنافس الفرس و«اليغريين» والأتراك والتبتيين على السيطرة على تلك الأراضي. ومما يروى في ذلك العهد أن حاكم (كابول) الموالي لملك التبت قد خرج عن البوذية واعتنق الإسلام، وذلك ما بين عامي ٨١٢ و٨١٤ للميلاد، وأنه أذعن للخليفة العباسي «المأمون»، وأهداه، تعبيراً عن ولائه، تمثالاً من الذهب الخالص، يقال أن المأمون أرسله إلى مكة حيث صهر وحُوِّل إلى عملة!

ومن المعلوم أن المنطقة الجغرافية التي تشمل أفغانستان وبلدان



المصلون يملؤون المسجد الكبير «بارا مسجد» الذي يؤمه نحو ١٠٠٠ مصلٍ من المسلمين من أصل صيني

آسيا الوسطى الحديثة لم تقع قط تحت الحكم التبتي، ولم تخضع له. ومع أن العرب والتبتيين كانوا على احتكاك مباشر منذ أوائل القرن التاسع للميلاد، إلا أنه يبدو أن المسلمين بدأوا يستقرون غربي التبت ووسطها في القرن الثاني عشر للميلاد. وقد جاء بعض هذا التدفق السكاني الإسلامي إلى التبت من بلدان تركستان وبلتستان وكشمير عبر لدخ، منتشرين إلى مناطق غربي التبت، وصولاً إلى مدينة لهاسا. ويعزى خروج معظم التلستانيين عن البوذية واعتناقهم الإسلام في القرن الرابع عشر للميلاد إلى المعلمين «علي الهمداني» وولده «محمد نور بخش». وهما فقيهان مسلمان من «سرنجار» من أعمال آسيا الوسطى.

يتكون المجتمع الإسلامي في (لهاسا) من فئتين من السكان تختلف أصولهما الحضارية. ففي حين تنحدر الفئة الأولى من أصل

صيني، فإن الأخرى تنتسب إلى أصول آسيوية غير صينية كالكشميريين والنيباليين واللدخيين والسيخ وغيرهم. وهناك أقل من ألف شخص من الفئة الثانية يدعى الواحد منهم باللغة التبتية «خاتشي» أي «كشميري مسلم»، ويعزو بعض هؤلاء جذورهم إلى تجار القرن الثاني عشر للميلاد. أما فئة «الهوي» الصينيين فيدعى الفرد منهم «غيا خاتشي». ويقدر عددهم بنحو ألفين. ويصلي هؤلاء في المسجد الكبير، «بارا مسجد»، في حين يصلي المسلمون غير الصينيين في المسجد الصغير، «تشوتا مسجد». ولكل من الفئتين زعيمها ومجلسها الأعلى وعلاقاتهما الإدارية مع حكومة التبت.

انتشر الإسلام حتى بلغ التبت من جهتي الشمال والغرب، قادماً من الجزيرة العربية عبر بلاد فارس وأفغانستان. وقد وصل إلى الصين في القرن السابع للميلاد

وكمعظم التبتيين، واجه المسلمون في مدينة لهاسا الكثير من المصاعب إبان احتلال الصين لبلادهم في عام ١٩٥٩م، إلا أن الأوضاع تحسنت هذه الأيام عن ذي قبل وعادوا يتمتعون بقسط كبير من حرية العبادة بالمقارنة بأوضاعهم أثناء ما كان يعرف بثورة الصين الحضارية.

ويعمل الكثيرون من مسلمي التبت الصينيين (الهوي) في القصابة أو زراعة الخضراوات.

ومع أنه كان هنالك وجود راسخ للتجار المسلمين في لهاسا وغيرها من مدن التبت الرئيسة بحلول القرن السابع عشر للميلاد، إلا أن حكم الدلاي لاما الخامس من عام ١٦١٧ إلى عام ١٦٨٢م كان بمثابة نقطة تحول للإسلام في التبت إذ يروى أن فقيهاً مسلماً من سكان مدينة لهاسا اعتاد أن يؤدي الصلاة كل يوم على تلة منعزلة في طرف المدينة. وكان الدلاي لاما يراه يثابر على فعل ذلك يومياً، فاستدعاه وسأله عما يفعله فأجابه أنه إنما يؤدي صلاته حسب تعاليم دينه، وأنه ما اختار ذلك المكان إلا لعدم وجود مسجد في المدينة يؤدي الصلاة فيه، فما كان من الدلاي لاما، لفرط إعجابه بإيمان الفقيه، إلا أن وجّه بإرسال أحد أمهر الرماة بقوسه وسهامه إلى تلك التلة، وأمره أن يرمي أربعة من سهامه ، واحداً في كل جهة من جهات التلة الأربع، ففعل وعلّم نقاط وقوع السهام ونقطة الوسط بين السهام الأربعة. ثم أمر الحاكم بأن تقطع الأرض التي حددتها النقاط للمسلمين وأن يقام وسطها أول مسجد لهم وأن تخصص فيها أولى مقابرهم. وقد سمي ذلك الموقع «بيت السهام بعيدة المدى». أما المسلمون المنحدرون من أصل كشميري فقد منحهم الدلاي لاما ما هو أكثر من الأرض إذ أنه اختار أربعة عشر من كهولهم وثلاثين من شبابهم كانوا أول المقيمين في الموقع ومنحهم



حبيب الله بات ومهنته الحياكة وهو إمام مسجد في مدينة لهاسا

الموافقة الرسمية على الإقامة فيه. وواضح أنه كان يبدو بموقفه الإيجابي من مسلمي لهاسا وكأنه يطبق سياسة انفتاح رسمية تحث على تعايش الأقليات العرقية وتدعو إلى التنوع الثقافي والتكامل الاقتصادي في بلاده.

إضافة إلى ذلك كله، منح الدلاي لاما المسلمين حرية تصريف شؤونهم وتسوية نزاعاتهم القانونية حسب الشريعة الإسلامية، كما أنه سمح لهم بفتح الحوانيت وممارسة التجارة بحرية تامة ودون دفع أية ضرائب.

المتنزه الإسلامي

يطلق هذه الأيام على الأرض التي أقطعها الدلاي لاما الخامس للمسلمين اسم «خاتشي» غلنغ غا «أو المتنزه الإسلامي». وغدت تستعمل للتنزه والمناسبات الاجتماعية، وشيد فيها مؤخراً قوس تذكاري تقليدي يدعى بلغتهم «اغو»، وذلك في المكان الذي أقيم فيه المسجد الكشميري الأول، المعروف أيضاً باسم «مسجد الجمعة»، لأنه لم يكن للمسلمين الكشميريين سواه حتى بناء



جلس هؤلاء التلاميذ استعداداً لالتقاط صور لهم أمام مدخل المسجد الكبير الذي يضم المدرسة

المسجد الصغير، «تشوتا مسجد»، وسط المدينة. وقد اعتاد الرجال كل يوم جمعة أن يسيروا بضعة كيلومترات من منازلهم في المدينة إلى المسجد البعيد قليلاً حيث يصلون الجمعة ويتناولون طعام الغداء سوية. ومع أن المسجد الصغير، «تشوتا مسجد» هو المركز الرئيس لتعبد المسلمين الكشميريين، إلا أن المتنزه هو مكان مناسباتهم واحتفالاتهم الموسمية.

وحتى قبل الحوافز الاقتصادية التي قدمت للمسلمين خلال عهد الدلاي لاما الخامس، كان التجار المسلمون يوفرون الكثير من احتياجات التبتيين المهمة.



عبد الحليم بن حبيب الله بات، يشارك أباه مسؤولية صيانة المباني والعناية ببساتين الفاكهة

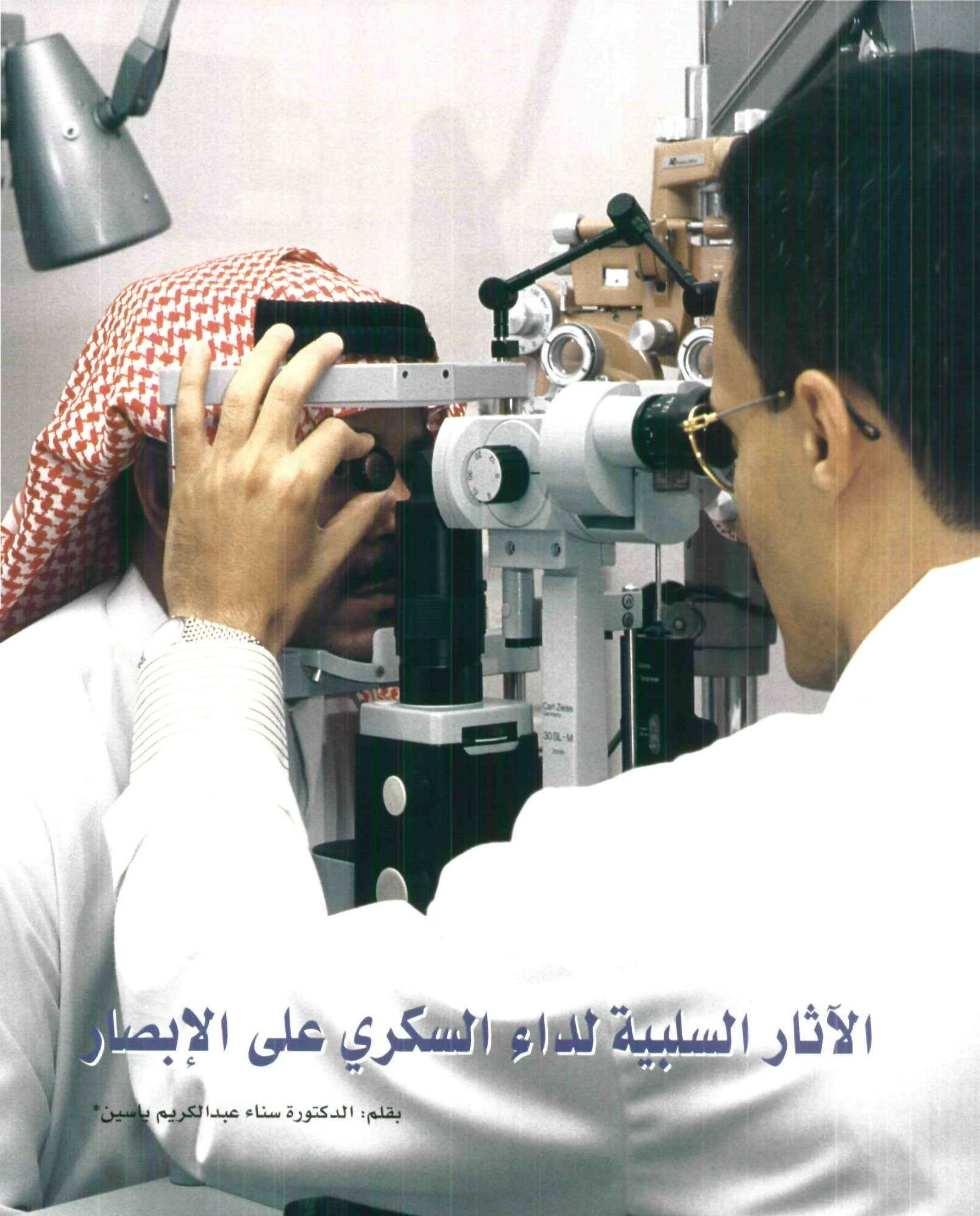
ولا يلم معظم التبتيين بالنصوص التاريخية والدينية التي تبحث شؤون المسلمين المقيمين بين ظهرانيهم. فإلمامهم بالإسلام نتج عن اتصالهم المباشر بالتجار المسلمين التقليديين القادمين من الصين شرقاً ومن الهند غرباً وخصوصاً من مناطق لدخ وكشمير وبهار وكالمبونغ. وحتى قبل الحوافز الاقتصادية التي قدمت للمسلمين خلال عهد الدلاي لاما الخامس، كان التجار المسلمون يوفرون الكثير من احتياجات التبتيين المهمة كالزعفران والفاكهة المجففة والسكر والمنسوجات. وكان هؤلاء التجار يحملون معهم عند العودة إلى بلدانهم الشالات التبتية والملح والذهب والفيروز الصيني وذيول الوعول التي تعتبر رمزاً للرفعة والمجد لدى الشعوب التي تنتمي إلى الحضارة المنغولية. وقد أقام معظم التجار المسلمين خارج التبت، ولكن الكثيرين استوطنوا التبت، وتزوجوا من نساء بوذيات اعتنقن الإسلام، وشكلوا في التبت نوى لمجتمعات إسلامية صغيرة لكنها مزدهرة متحضرة.

كان التجار المسلمون يوفرون الكثير من احتياجات التبتيين المهمة كالزعفران والفاكهة المجففة والسكر والمنسوجات

بيد أن معرفتنا بالمجتمعات الإسلامية خارج مدينة لهاسا قليلة ومحدودة، فنحن نعلم أن مدناً مثل «شيكاتزغي» و «تستنغ» و «سونغ» كان فيها مساجد وأقليات مسلمة استدعت أعدادها أحياناً تعيين أئمة.

ومما تجدر ملاحظته أن مسلمي التبت جزء متكامل مع المجتمع التبتي من النواحي الاقتصادية والحضارية واللغوية، ولكن هذا الاندماج لايمنعهم من الظهور كمجتمع إسلامي متميز، بشكل لايجاريه غيرهم من معتنقي الديانات الأخرى في المناطق المتاخمة لحدود التبت. ولعل ذلك راجع إلى تصميمهم على التمسك بدينهم خاصة في ضوء الأعداد الهائلة من البوذيين المحيطين بهم. ■

* موضوع مترجم من مجلة «أرامكو ورلد» التي تصدرها أرامكو السعودية عدد يناير /فبراير ١٩٩٨م.



الآثار السلبية لداءِ السكري على الإبصار

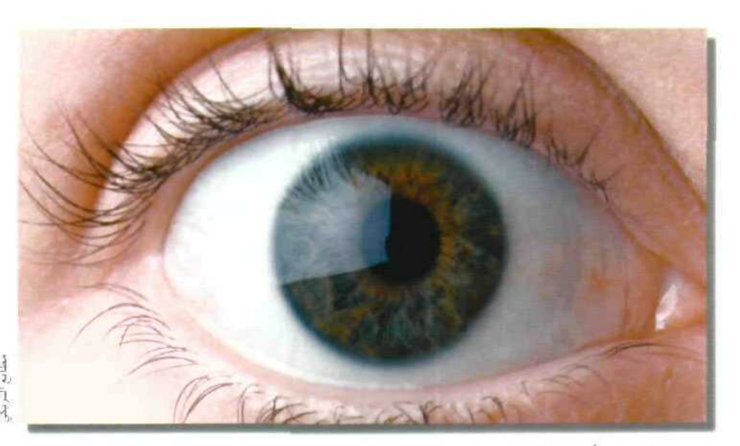
بقلم: الدكتورة سناء عبدالكريم ياسين*

* استشارية طب وجراحة العيون، وأستاذ مساعد بجامعة الملك فيصل في الدمام

يعد داء السكر في وقتنا الحاضر من الأمراض المزمنة التي قد تصيب الإنسان في أية مرحلة من مراحل حياته، وتشير بعض الدراسات الحديثة إلى أن حوالي ٥٪ من سكان العالم يعانون من هذا الداء ومضاعفاته العديدة. وتتراوح نسبة الإصابة بداء السكري في المملكة بين ٤,٣٪ - ٥٪ من التعداد السكاني . وكما هو معروف فإن داء السكري يصاحبه عدد من المضاعفات التي تؤثر على عمل القلب والكلى والشرايين والأعصاب والعينين. وبالرغم من خطورة هذه المضاعفات إلاّ أن المريض يستطيع أن يتجنبها وأن يمارس حياة طبيعية في أغلب الأحيان شريطة اتباع الإرشادات والتعليمات الأساسية المتعلقة بالرعاية الصحية.

وتتأثر العينان وبعض أعضاء الجسم بارتفاع وعدم انتظام مستوى السكر في الدم. ويظهر التأثير المباشر على شبكية العين التي تصاب بالاعتلال وبالتالي إلى فقدان الإبصار. وتؤدي هذه المضاعفات إلى العمى بنسبة ٢٪ من المرضى، والإصابة بعاهة بصرية حادة لحوالي ١٠٪ من المرضى، وذلك بعد ١٥ سنة من الإصابة بداء السكري، وعدم المتابعة الطبية الصحيحة للمحافظة على معدل طبيعي للسكر في الدم.

ونستعرض في الفقرات التالية وصفاً لاعتلال شبكية العين نتيجة داء السكري والطرق المتبعة لتشخيص وعلاج الاعتلال ، إضافة إلى الوقاية من المضاعفات المصاحبة. كما نستعرض الآثار السلبية الأخرى لداء السكري على أجزاء العين مثل أعصاب العين والمياه الزرقاء والبيضاء والتغييرات الانكسارية في الرؤية، إضافة إلى بعض النصائح والإرشادات الخاصة بالوقاية من مضاعفات داء السكري.



البصر نعمة منّ الله بها على عباده، فيجب المحافظة عليها

اعتلال الشبكية السكري

الشبكية هي الجزء الخلفي الذي يبطن العين كلياً من الداخل، وهي عبارة عن شبكة أعصاب حساسة جداً للضوء، مهمتها الرئيسة استقبال الصورة المنظورة وإرسال المعلومات المرئية إلى المخ. وتتغذى أعصاب الشبكية الدقيقة بالأكسجين والعناصر المغذية عن طريق شبكة الأوعية الدموية الخاصة بالشبكية.

يؤدي مرض السكري إلى اعتلال الشبكية، ويتسبب في ضرر الأوعية الدموية الصغيرة المغذية للشبكية. وتؤدي التغيرات المصاحبة لمرض السكري إلى تسرب السوائل والدم إلى داخل أنسجة الشبكية مما يؤدي إلى تورمها وتكوين ارتشاحات دهنية. وتعرف هذه المرحلة باعتلال الشبكية السكري غير التكاثري. ولا يتأثر البصر في هذه المرحلة حيث لا يلاحظ المريض أية مضاعفات إلا في حالة حدوث تغيرات قرب أو داخل مركز الإبصار المعروف بـ «النقطة الصفراء» حيث يضعف البصر وتصعب رؤية الأشياء بوضوح. ومع تطور المرحلة يحدث انسداد في الأوعية الصغيرة وتظهر أوعية دموية جديدة غير طبيعية على سطح الشبكية تكون غير قادرة على تغذية الشبكية بصورة اعتيادية وتعرف هذه المرحلة باعتلال الشبكية السكري التكاثري. وتجدر الإشارة إلى أن الأوعية الجديدة تكون ضعيفة جداً ومن السهل أن تنفجر مما يؤدي إلى نزيف داخل الجسم الزجاجي للعين مسبباً تشكل سحابة في مجال النظر، أو انحباس الدم بين الشبكية والجسم الزجاجي الذي يظهر على شكل بقعة سوداء في مجال النظر. ويصاحب نمو هذه الأوعية الجديدة تشكل تليفات على سطح الشبكية تتشعب داخل الجسم الزجاجي. وعند انكماش هذه التليفات، يحدث شد على الشبكية مما يؤدي إلى انفصالها. وغالباً ما يحدث هذا الانفصال في المنطقة المحيطة بالبقعة الصفراء مما يؤثر على البصر بشكل مفاجئ وشديد. ويحتاج هذا النوع من انفصال الشبكية إلى تدخل جراحي سريع حتى لا يصاب المريض بفقدان البصر.

أعراض اعتلال الشبكية

لا يشعر مريض السكري بأي ألم عندما تتعرض الشبكية

بصورة تدريجية ومتواصلة لمضاعفات مرض السكري. ولا توجد أية أعراض تذكر في المراحل الأولى لاعتلال الشبكية، حيث يحافظ البصر على مستواه إلى أن يتأثر مركز الإبصار ويتورم. وعند هذه المرحلة، يبدأ ضعف البصر التدريجي خاصة عند القراءة. أما في المراحل المتقدمة مثل تكاثر الأوعية الدموية، فتظهر الأعراض عند حصول نزيف فيشكو المريض من ظهور بقع أمام النظر أو ضباب في العين أو فقدان كامل للبصر. أما في حال حدوث انفصال للشبكية فيشكو المريض من ضعف مفاجئ في البصر.

علاج اعتلال الشبكية

تتلخص الطرق المتبعة في علاج اعتلال الشبكية السكري بالوسائل التالية:

أولاً: التحكم الجيد في مستوى السكر في الدم لفترات طويلة قد يمنع أو يؤخر حصول اعتلال أو مضاعفات خطيرة في الشبكية. وينصح المريض بضرورة معالجة أية أمراض أخرى قد يعاني منها نتيجة السكر والتي قد تؤثر على العين.

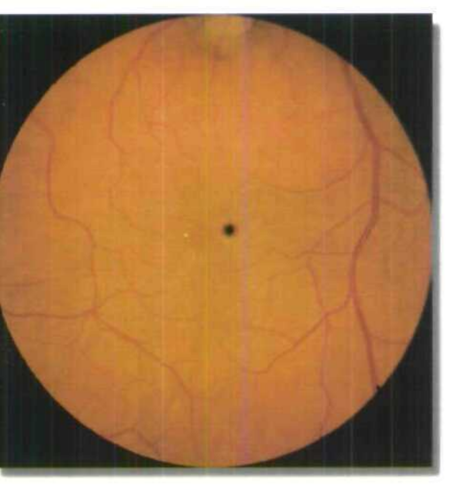
ثانياً: عند ملاحظة وجود تغير في شبكية العين، يجري إخصائي العيون فحصاً للشبكية بواسطة التصوير بأشعة الفلورسين. وهذا الفحص هو عبارة عن حقن مادة صفراء اللون في الوريد، يتم بعدها أخذ العديد من الصور للشبكية بواسطة آلة تصوير خاصة. وبناء على نتيجة هذا الفحص يحدد الطبيب ما إذا كانت هناك حاجة لإجراء علاج للشبكية باستخدام أشعة الليزر.

ثالثاً: في الحالات المتقدمة لمرضى السكري واعتلال الشبكية، فإن الكي بالليزر هو العلاج الفاعل لهذه الحالة. وتشير الإحصاءات العالمية إلى أن أشعة الليزر تحد من عوامل ومضاعفات فقدان البصر الحاد نتيجة مرض السكري، حيث تسلط أشعة الليزر على الأوعية الدموية المرشحة للسوائل بهدف إغلاقها، أو يتم توزيع نقاط الليزر على أطراف الشبكية للتقليل من تكاثر الأوعية الدموية الجديدة، أو لتثبيت الشبكية ومنع حدوث الانفصال.

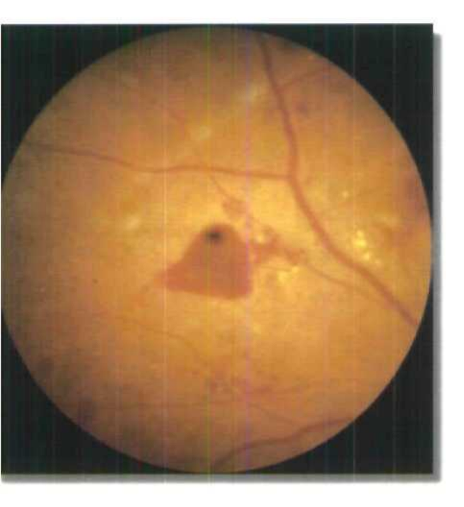
وتتم عملية المعالجة بالليزر في العيادات الخارجية حيث يتم توسيع حدقة العين بوضع قطرات تخدير موضعي في العين ثم جلوس المريض أمام جهاز المعالجة بالليزر. ويتم وضع عدسة خاصة على العين حيث يمرر شعاع الليزر عبرها.

وتتراوح فترة العلاج بين عدة دقائق إلى نصف ساعة، وذلك حسب طبيعة المرض. وقد يحتاج المريض إلى عدة جلسات لإكمال العلاج.

رابعاً: تتطلب المراحل الأخيرة لاعتلال الشبكية مثل حدوث التليّفات الشديدة أو النزيف داخل العين أو انفصال الشبكية تدخلاً جراحياً بإدخال المريض إلى المستشفى لسحب السائل الزجاجي وإزالة التليّفات. ويجب قبل العملية بيوم أو اثنين تعديل نسبة السكر في الدم وتثبيته عند معدلات طبيعية. وفي معظم الحالات يتم إجراء العملية تحت تخدير شامل. وقد تتطلب الحالة حقن هواء أو غاز أو زيت السيليكون داخل العين مما يستلزم من المريض البقاء في وضع معين بعد العملية لفترة تتراوح من ٥ إلى ٧ أيام. وتتوقف نسبة نجاح هذه العمليات على مدى تأثير شبكية العين وحدة المضاعفات المصاحبة، مثل المياه البيضاء والتهاب العين والنزيف وارتفاع ضغط العين «المياه الزرقاء».



شبكية سليمة

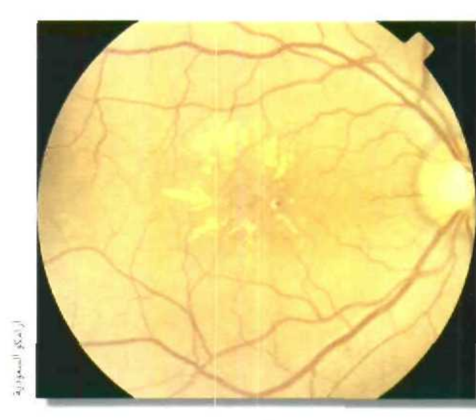


اعتلال الشبكية السكري التكاثري

الوقاية من مضاعفات اعتلال الشبكية

تتأثر العينان وبعض أعضاء الجسم بارتفاع وعدم انتظام مستوى السكر في الدم. ويظهر التأثير المباشر على شبكية العين التي تصاب بالاعتلال، وبالتالي إلى فقدان الإبصار.

تتحقق الوقاية من مضاعفات اعتلال الشبكية بالتشخيص والعلاج المبكر. ففي ذلك وقاية أكيدة بإذنه تعالى. ولقد أظهرت الدراسات أنه كلما طالت فترة مرض السكري كلما زادت نسبة الإصابة باعتلال الشبكية السكري، حيث يعاني ٨٠٪ من مرضى



اعتلال الشبكية التّضحي ذو الشكل النجمي

السكري بعد ١٥ سنة من السكر من بعض التغييرات في الأوعية الدموية للشبكية. وفي كل الأحوال فإن على المصابين بالسكري الاهتمام المتزايد بأنفسهم ورعاية صحتهم للتقليل من مضاعفات المرض وخاصة اتباع النصائح التالية :

- التحكم بمستوى السكر بالدم (الأدوية أو الأنسولين) .

- التحكم بضغط الدم، بتقليل الوزن والتوقف عن التدخين .

- المحافظة على النظام الغذائي الخاص وممارسة الرياضة اليومية.

اعتلال الشبكية السكري غير التكاثري

كما أن المراجعة الدورية لطبيب العيون واتباع الإرشادات الخاصة هما الحل الأمثل للتأكد من عدم حدوث مضاعفات تؤثر على شبكية العين. وبوسع طبيب العيون أن ينظر داخل العين بواسطة منظار خاص حيث يتم تحديد سلامة الشبكية أو تأثرها بالمضاعفات. وتختلف عملية المتابعة الدورية من مريض إلى آخر حسب مدى تأثر العين. وينصح المريض بلبس نظارة شمسية بعد إجراء الكشف ومن الأفضل اصطحاب شخص آخر معه لقيادة السيارة حيث أن العين تكون حساسة جداً للضوء بعد هذا الفحص وذلك لفترة قصيرة.

اعتلال أعصاب العين

بالرغم من قلة حدوث هذا المرض إلا أنه من المضاعفات التي قد تصيب مرضى السكري وخاصة المتقدمين في العمر. ويحدث هذا المرض عند أولئك الذين يعانون من سكري خفيف حيث يصاب العصب القحفي الثالث أو السادس اللذان يحركان العين في الاتجاهات المختلفة. وتعود أسباب الإصابة بهذا الشلل إلى التهاب العصب أو تأثر واعتلال الأوعية الدموية التي تغذي العصب. وعادة ما يشكو المريض من ازدواجية النظر المفاجئ وعدم القدرة على تحريك العين في اتجاهات معينة حيث يكون مصاحباً لهبوط في الجفن وخاصة في حالة شلل العصب الثالث. ويتم شفاء هذا الشلل تلقائياً بعد حوالي ٣- ٦ أشهر. وينصح المريض الذي يشكو من ازدواجية النظر إلى تغطية العين المصابة في الفترة الأولى. وفي بعض الحالات يحدث اعتلال في العصب البصري نفسه وذلك نتيجة نقص في عملية تغذية العصب مما يؤدي إلى فقد مفاجئ لجزء من مجال النظر. وعادة ما يرافق هذه الحالة وجود تورم في العصب ونزيف في طبقة الأعصاب. وتتم المعالجة في جميع الأحوال بتنظيم مستوى السكر وضغط الدم وتقليل ضغط العين. وقد يتحسن النظر بشكل محدود أو بسيط.

المياه الزرقاء الثانوية

تحدث هذه الحالة نتيجة نمو أوعية دموية جديدة غير طبيعية على سطح القزحية (الجزء الملون في الخزنة الأمامية للعين) وعلى زاوية العين مصحوبة بنمو تليفات تؤدي عند انكماشها إلى انسداد مجرى السائل داخل العين. وتؤدي هذه الحالة إلى ارتفاع ضغط العين وتعد من أصعب أنواع المياه الزرقاء التي يستعصي علاجها.

ومن الأسباب المؤدية لهذا النوع من المضاعفات التي تصيب مرضى السكري، ضعف التغذية الشاملة للعين. ويستخدم الطبيب لعلاج هذه الحالة قطرات خفض الضغط وقطرات الكورتيزون. إضافة إلى كي شامل للشبكية بأشعة الليزر. وفي حالة استعصاء التحكم بضغط العين، يتم اللجوء إلى إجراء عملية جراحية للكي بالثلج للجسم الهدبي للتقليل من إنتاج الخلط المائي، أو استحداث مخرج لسائل العين أو زراعة صمام للتحكم بسائل الخلط المائي وإخراجه من العين .

المراجعة الدورية لطبيب العيون واتباع الإرشادات الخاصة هما الحل الأمثل للتأكد من عدم حدوث مضاعفات تؤثر على شبكية العين.

المياه البيضاء

أظهرت العديد من الدراسات أن نسبة الإصابة بالمياه البيضاء في مرضى السكري

مرتفعة مقارنة بشريحة من نفس العمر لا تعاني من مرض السكري. وتبدأ المياه البيضاء على شكل فقاعات داخل أنسجة العدسة تتحول إلى عتامة في نواة العدسة، ومن ثم تصبح كل العدسة معتمة في المراحل المتقدمة من المرض.

ارتفاع مستوى السكر في الدم يؤدي إلى قصر نظر مؤقت في حين يؤدي انخفاض مستوى السكر إلى طول نظر مؤقت

وتتم معالجة هذه الحالة عندما يضعف النظر لدرجة تمنع الشخص من ممارسة أموره اليومية العادية بشكل طبيعي، أو إذا استحال علاج الشبكية بسبب عتامة العدسة. ويتم سحب المياه البيضاء بواسطة عملية جراحية لزرع عدسة صناعية في الحجرة الخلفية للعين. ونسبة نجاح هذا النوع من العمليات مرتفع جداً.

العيوب الانكسارية

يعاني مرضى السكري في أغلب الأحيان من عدم القدرة على التركيز بالنسبة للأشياء القريبة نتيجة الترسبات النشوية في الجسم الهدبي وتذبذب حدة النظر نتيجة تغير مستوى السكر في الدم. وتجدر الإشارة إلى أن ارتفاع مستوى السكر في الدم يؤدي إلى قصر نظر مؤقت في حين يؤدي انخفاض مستوى السكر إلى طول نظر مؤقت، وذلك بسبب تأثر عدسة العين بالتغير في نسب السكر في الدم. لذا ينصح مرضى السكري بالمحافظة على معدلات طبيعية للسكري وخاصة عندما ينوون إجراء كشف لمقاس النظارة.

نصائح وارشادات لمرضى السكري

هناك بعض النصائح والإرشادات التي يتوجب على مريض السكري اتباعها للتقليل من المضاعفات المصاحبة للمرض:

- المتابعة الدورية لدى طبيبه للمحافظة على معدل طبيعي للسكر في الدم ومعالجة الأمراض الأخرى التي قد تزيد من مضاعفات السكر على العين.
- ينصح مرضى السكري من النوع الأول والذين تقل أعمارهم عن العشر سنوات أن يخضعوا لفحص شامل للعين خلال ٣-٥ سنوات من تشخيص مرض السكري. وتجدر الإشارة إلى أن فحص العين لمرضى السكري ليس ضرورياً قبل تخطي السنة العاشرة من العمر. أما مرضى السكري من النوع الثاني والذين تم تشخيص المرض لديهم بعد سن الثلاثين فيجب أن يخضعوا للكشف الشامل للعين مباشرة بعد تشخيص مرض السكري.
- ينصح كلا النوعين من مرضى السكري بمراجعة طبيب العيون سنوياً إذا كانت نتيجة الفحص الأولية سلبية. أما إذا أظهر الفحص الأول تغييرات اعتلال الشبكية فتكون فترة المراجعة حسبما يحددها طبيب العيون المختص بأمراض الشبكية، حيث تتراوح الفترة بين شهر وتسعة شهور حسب الحالة المرضية.
- على المرأة الحامل التي تعاني من مرض السكري، أن تراجع طبيب العيون في بداية أشهر الحمل بصورة دورية في مواعيد متقاربة، وذلك بسبب تزايد خطورة اعتلال الشبكية السكري أثناء فترة الحمل.
- يحتاج المرضى الذين يعانون من تورم في مركز الإبصار السكري نتيجة نقص تغذية الشبكية أو تكاثر الأوعية الدموية إلى عناية خاصة وملاحظة دورية تحت إشراف طبيب عيون متخصص بأمراض الشبكية. وتجدر الإشارة أن متابعة المرض في مراحله المبكرة (قبل ظهور الأوعية الدموية الجديدة) ذو أهمية كبيرة حيث أن علاج الشبكية بأشعة الليزر في المراحل المبكرة يقلل من خطورة فقدان البصر (العمى) بحوالي ٥٠٪ من الحالات.
- ينصح المرضى اللذين يعانون من ضعف شديد في النظر باستعمال مساعدات تقوّم ما لديهم من النظر. ■

الجدول الزمني المقترح اتباعه لإجراء الفحص الشامل للعين لمرضى السكري

عدد السنوات بعد تشخيص داء السكري	الفترة المتوجب خلالها فحص العين لأول مرة	المتابعة الدورية للفحص
٠ - ٣٠	خلال ٥ سنوات من التشخيص	سنوياً
٣١ وما فوق	عند التشخيص مباشرة	سنوياً
فترة الحمل	الأشهر الأولى للحمل	كل ٣ أشهر

المصادر

١ - منشورات الأكاديمية الأمريكية لطب العيون - سان فرانسيسكو - ١٩٧٧م.

٢ - برنامج الوقاية من أمراض العيون - التوعية الصحية للجمعية السعودية لطب العيون - الرياض

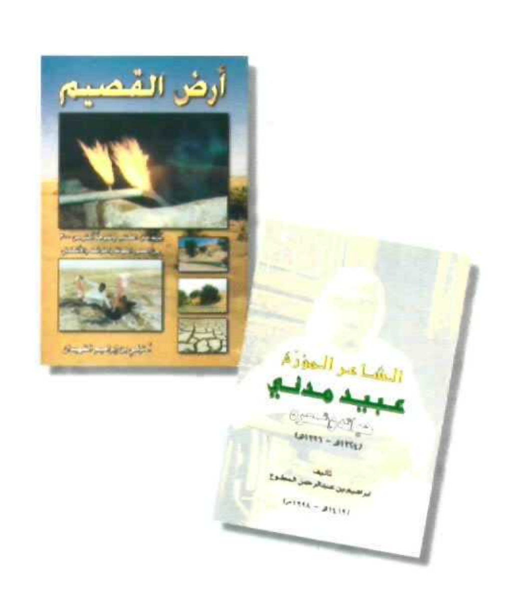


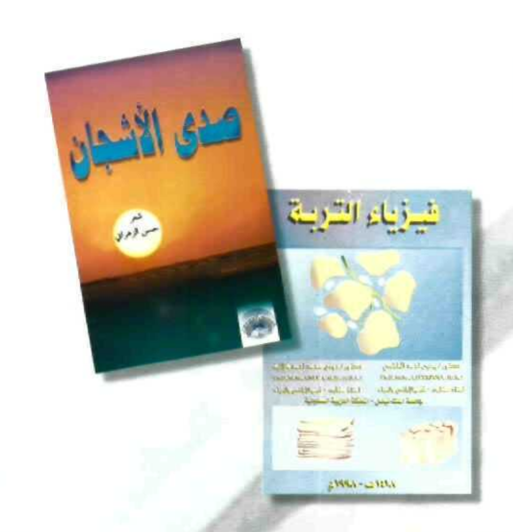
• (قصور العلم البشري) من تأليف قيس القرطاس. ويبحث هذا الكتاب العلمي في محدودية ما وصل إليه الإنسان من العلم قديماً وحاضراً . ويقع هذا الكتاب في ثمانية فصول مدعمة بالاستشهاد ببعض الظواهر العلمية والنظريات حسبما طرحها كبار المفكرين والعلماء العرب والغربيين. ويحاول المؤلف إثبات أن هناك نقصاً في التفكير العلمي المطلق، والكتاب من إصدارات دار الفيصل الثقافية. ويقع في ٢٤٢ صفحة من الحجم المتوسط.

• (الشاعر المؤرخ عبيد مدني حياته وشعره) تأليف إبراهيم بن عبدالرحمن المطوع. وهذا الكتاب هو موضوع رسالة الماجستير للمؤلف، ويتناول دراسة شخصية ونتاجات الشاعر عبيد مدني . ويتألف الكتاب من أربعة فصول تتناول حياة الشاعر الشخصية، وموضوعات شعره والخصائص الفنية التي تميزت به قصائده وآراء النقاد في نتاجه الشعري وموازنته مع بعض معاصريه ومكانته الشعرية. والكتاب يقع في ٤٠٨ صفحات من الحجم المتوسط.

• (فيزياء التربة) للدكتور يحيى النابلسي والدكتور عوض هلالية. قامت بإصدار هذا الكتاب جامعة الملك فيصل، وهو ذو طابع تعليمي ويتكون من تسعة فصول مسلسلة عن: خواص التربة الفيزيائية وقوام التربة والبناء الأرضي وعلاقة الماء والهواء والحرارة بالتربة. ويقع في ٢٥٠ صفحة من الحجم المتوسط.







• (القدس : سيرة مدينة) للكاتب خالد محمد غازي. وكما يبدو من عنوان الكتاب فإنه يتحدث عن تاريخ مدينة القدس منذ نشأتها قبل أكثر من ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد. ويشرح الكتاب أسباب إصرار اليهود على التمسك بالقدس أكثر من أي جزء آخر من فلسطين. كما يقدم آراء وشهادات وتساؤلات وتصورات حول القدس لنخبة من المفكرين والمثقفين والسياسيين من مختلف الانتماءات والتيارات ، جمعها المؤلف لإبراز حقيقة ما يدور من صراع عربي إسرائيلي في المنطقة. والكتاب من إصدارات دار الهدى للنشر والتوزيع في القاهرة ويقع في ٤٠٠ صفحة من الحجم المتوسط.

• (أرض القصيم) لمؤلفه الأستاذ تركي ابن إبراهيم الفهيدان. كتاب عن جغرافية منطقة القصيم، اعتمد فيه المؤلف على العمل الميداني، يحوي خرائط جغرافية وطبوغرافية وجيولوجية وصوراً جوية عن المنطقة، وتفاصيل عن إقليم القصيم من حيث الموقع والمناخ والتربة والمياه الجوفية. كما احتوى الكتاب بحثاً عن المياه الجوفية وأودية وعيون القصيم. وتطرق إلى عدة بحوث جغرافية وتاريخية . ويقع في ٥٥٢ صفحة من الحجم المتوسط.

• (صدى الأشجان) ديوان شعر لحسن محمد الزهراني، من مطبوعات نادي الباحة الأدبي. يضم الديوان أكثر من خمسين قصيدة تدور حول عدة موضوعات عاطفية ووطنية. ويقع في ١٦٦ صفحة من القطع الصغير .

منطقة التجارة الحرة العربية
مقدمة أولى لقيام سوق عربية مشتركة

بقلم: د. صباح نعوش *

يعاني العالم العربي من ضعف مبادلاته التجارية البينية التي تشكل نسبة ضئيلة من حجم تجارته الخارجية، وتم الاتفاق على إنشاء منطقة للتجارة الحرة العربية الكبرى بهدف زيادة هذه المبادلات ومواكبة التطورات الدولية القائمة على التكتلات الإقليمية. ويمكن لهذه المنطقة أن تتطور في المستقبل إلى اتحاد جمركي عربي يصبح العالم العربي معه كياناً تجارياً قوياً يدافع في المحافل الدولية بشكل فاعل عن مصالح أعضائه.

خلال الفترة الواقعة بين ١٩٨٠ و١٩٩٨م ازدهرت التجارة الخارجية في أمريكا وأوروبا وآسيا إثر ظهور تكتلات إقليمية وتقليص الرسوم الجمركية والحواجز غير الضريبية الناتجة عن التنظيم الجديد للتجارة العالمية. وهكذا ارتفعت التجارة العالمية من ٣٠٨٢ إلى ١١٠٥٥ مليار دولار، أي تضاعفت ثلاث مرات. أما التجارة العربية الخارجية فقد ارتفعت من ٣٠٦ إلى ٣٢٦ مليار دولار فقط. وبعملية حسابية بسيطة نستنتج بأن حصة التجارة العربية مقارنة بالتجارة العالمية هبطت من ٨٪ في بداية الفترة لتصل إلى ٣٪ في نهايتها. ونجم هذا التراجع عن انخفاض الصادرات النفطية وعن القيود المفروضة على الواردات.

تتسم التجارة العربية البينية بالضعف أيضاً فهي لم تتجاوز ٢٩ مليار دولار في عام ١٩٩٧م أي بنسبة ٩٪ من التجارة الخارجية الكلية. وبالنظر لعدم وجود تكتل عربي على غرار الاتحاد الأوروبي أو حتى المركوسور أو النافتا أو آسيان تصبح العلاقات الجماعية العربية مع العالم الخارجي منعدمة. فكل دولة تدافع عن مصالحها بصورة منفردة الأمر الذي يضعف موقفها تجاه المنظمات العالمية والتكتلات الإقليمية. ولابد من الإشادة بالدور الذي تلعبه دول مجلس التعاون الخليجي خاصة المملكة العربية السعودية في تحويل المواقف من فردية إلى جماعية. ويتضح هذا الدور من جانبين. أولهما الجهود المبذولة في المنظمات والاتحادات العربية من أجل تنمية المبادلات التجارية البينية. وثانيهما الأهمية القصوى للتجارة البينية للمملكة التي بلغت ٨٣٢١ مليون دولار أي ٢٩٪ من مجموع التجارة العربية البينية.

* أستاذ جامعي وباحث اقتصادي مقيم في فرنسا.



تتسم التجارة العربية البينية بالضعف الشديد، فهي لم تتجاوز ٢٩ مليار دولار في عام ١٩٩٧م أي بنسبة ٩٪ من التجارة الخارجية الكلية

أرامكو السعودية

بدأت الجهود العربية الرامية إلى إزالة معوقات التجارة البينية بتقليص الرسوم الجمركية التي انحرفت عن هدفها الأساس. إذ يفترض فيها أن توفر الحماية للسلع المحلية المماثلة من المنافسة الأجنبية. ويشترط من الناحية المبدئية أن تكون هذه الحماية محددة بفترة زمنية تستغلها الصناعات المحلية لزيادة الإنتاج وتحسين نوعيته. بيد أن تزايد تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية حتى منتصف الثمانينيات أدى إلى تفاقم عجز الميزانيات العامة. ونظراً لاقتصار السياسات المالية العربية على الضرائب المباشرة لتصحيح العجز في الميزانية، التي زادها سوءاً انتشار ظاهرة التهرب الضريبي وتدني مستويات الدخول الفردية. لجأت الدول العربية إلى فرض الضرائب غير المباشرة ومن بينها الرسوم الجمركية التي تحولت من أداة اقتصادية إلى أداة مالية تفرض بنسبة مرتفعة على السلع المستوردة حتى عند عدم وجود سلع وطنية مماثلة. وكانت النتيجة عدم تنامي الصناعات المحلية وتقييد المبادلات الخارجية. مما جعل من الضروري العمل على إلغاء هذه الرسوم. وقد تقرر أن يسري الإلغاء على التجارة العربية البينية في إطار منطقة التبادل الحر ضمن قواعد التجارة العالمية.

ولما كانت الرسوم مصدراً أساسياً من مصادر الإيراد العام لأغلب البلدان العربية، فإن إزالتها سوف تخلق مصاعب مالية خاصة للأقطار غير الخليجية التي تشكل هذه الرسوم أكثر من ١٤٪ من إيراداتها العامة. ولكن يتعين عدم المبالغة في هذه الآثار السلبية. فالخسارة المالية ستكون ضئيلة بسبب ضعف التجارة العربية البينية. و وفق حساباتنا سوف لن يتجاوز المعدل العام للخسارة ١,٣٪ من الإيرادات. أضف إلى ذلك أن تخفيف الرسوم الجمركية ظاهرة عالمية يتعين قبولها سواء بوجود منطقة عربية للتجارة الحرة أم بعدم وجودها. لذا يجب على السياسات الاقتصادية أن تتكيف مع هذا الوضع الجديد وتحاول قدر المستطاع تحقيق مكاسب تجارية لتعويض الخسارة المالية.



تحرير التجارة العربية سوف يلعب دوراً رئيساً في تنمية القطاع الصناعي في الدول العربية



التقليص التدريجي للرسوم الجمركية سوف يعمل على تنشيط حركة الأسواق العربية

البرنامج التنفيذي

يعد مبدأ «الدولة الأولى بالرعاية» من الركائز الأساسية للنظام التجاري العالمي. ويقضي هذا المبدأ بأن التسهيلات غير الضريبية والإعفاءات الجمركية التي تقررها دولة لبلد ما، يجب أن تسري على البلدان الأخرى. ووفقاً لهذا المبدأ لا يجوز إنشاء تكتلات اقتصادية إقليمية، لأنها تمنح تلك الامتيازات للدول الأعضاء فيها فقط دون غيرها. لكن النظام العالمي المشحون بالاستثناءات أقرَّ مثل تلك التكتلات تحت شروط محددة تختلف حسب شكل التكتل. وفيما يخص مناطق التبادل الحر يتعين أن ينصرف تحرير التجارة إلى الجزء الأكبر من المبادلات الخارجية، أي لا يجوز أن تقتصر المنطقة على سلع وخدمات معينة أو على قطاع اقتصادي دون آخر.

ويمكن من خلال هذه النظرة الشمولية استثناء بعض السلع أو الخدمات من التبادل الحر لأسباب تتعلق بتوازن ميزان المدفوعات أو بالنظام العام للدولة. كما يسمح النظام العالمي بفترة انتقالية لتحقيق منطقة التبادل الحر على أن يتفق الأعضاء على برنامج تنفيذي يحدد «مدة معقولة» لهذه الفترة.

انطلاقاً من هذه المعطيات وافق المجلس الاقتصادي والاجتماعي لجامعة الدول العربية في ١٧ فبراير ١٩٩٧م على البرنامج التنفيذي لاتفاقية تيسير وتنمية التبادل التجاري بين الدول العربية. ويتناول البرنامج إقامة «منطقة التجارة الحرة العربية الكبرى» حسب جدول زمني محدد يفضي إلى إلغاء الرسوم الجمركية والحواجز غير الضريبية. ويشترط للانتماء إلى هذه المنطقة الموافقة على الاتفاقية المذكورة وإيداع هيكل التعرفة الجمركية المطبقة في نهاية عام ١٩٩٧م لدى الأمانة العامة للجامعة. وإلى نهاية العام المنصرم أبدت عشر دول رغبتها في الانضمام وهي بلدان مجلس التعاون الخليجي (باستثناء قطر) والمغرب ومصر وتونس والعراق والأردن ويبلغ حجم التجارة البينية لهذه الدول ٢٣٧٢٤ مليون دولار أي ٨١٪ من التجارة العربية البينية. وهذه بداية مشجعة لأن من المتوقع أن يرتفع عدد الأعضاء خاصة بعد مصادقة ١٨ دولة على الاتفاقية.

وافق المجلس الاقتصادي والاجتماعي لجامعة الدول العربية في عام ١٩٩٧م على البرنامج التنفيذي لاتفاقية تيسير وتنمية التبادل التجاري بين الدول العربية.

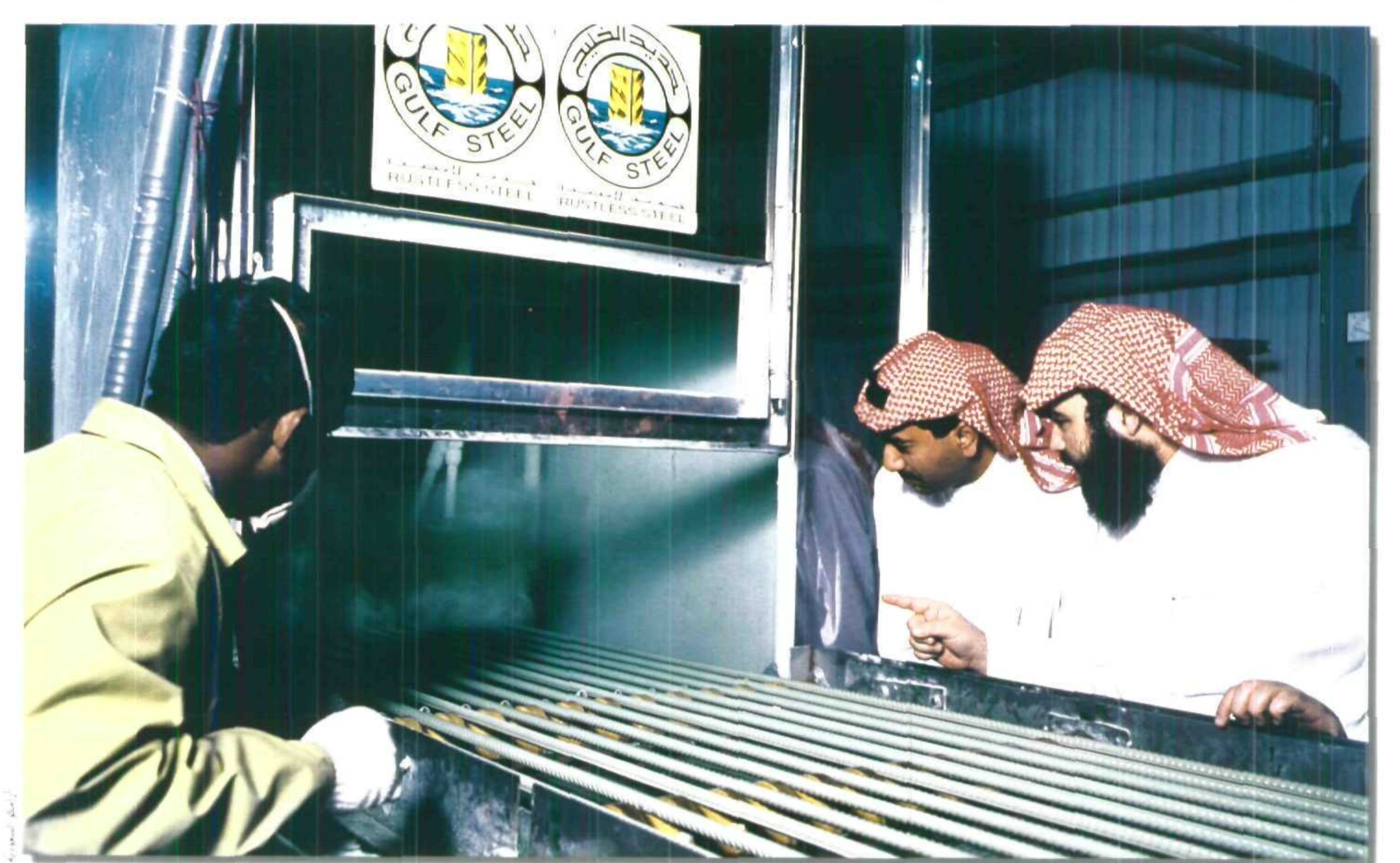
يعتمد البرنامج التنفيذي على التقليص التدريجي وليس الفوري والكامل للرسوم الجمركية. ويطبق هذا الأسلوب على جميع أنواع السلع بما فيها المنتجات الزراعية. وقد تقرر أن تكون نسبة التقليص ١٠٪ سنوياً اعتباراً من عام ١٩٩٨م. وبذلك ستلغى الرسوم الجمركية خلال عشر سنوات. ويجري العمل على زيادة هذه النسبة بحيث

يتم تحرير التجارة العربية البينية خلال سنوات سبع. ووضع البرنامج الضوابط للسلع التي ترغب دولة ما عدم إخضاعها بصورة استثنائية للتحرير الجمركي ويتعين أن تكون المبررات مقنعة من الناحية الاقتصادية وألا تتجاوز مدة الاستثناء أربع سنوات وألا تزيد قيمة السلع المستثناة عن ١٥٪ من قيمة الصادرات إلى البلدان الأعضاء في المنطقة. وبدون هذه الضوابط تكثر هذه السلع فتنقلب الاستثناءات إلى قاعدة عامة عندئذٍ تفشل المنطقة الحرة.

تستوجب المنطقة الحرة اقتصار تحرير التجارة على السلع المنتجة في الدول الأعضاء فيها. وهذا أمر طبيعي متعارف عليه في جميع المناطق الحرة في العالم لأن سريان التحرير على بضائع ذات منشأ أجنبي يقود إلى التهرب الضريبي

لقد استفاد البرنامج من صعوبات وأخطاء الماضي. فبالإضافة إلى رفض الإلغاء الفوري للرسوم الجمركية وإلى تحديد معايير السلع المستثناة من التحرير الجمركي اهتم البرنامج بأجهزة المتابعة. وكان تنفيذ اتفاقية عام ١٩٨١م من مهام «لجنة المفاوضات التجارية» التي تتألف من العاملين في البعثات العربية بمقر الجامعة. وهؤلاء لم يكونوا متخصصين بالقضايا التجارية ولم يتمتعوا بصلاحية الاتفاق واتخاذ القرارات. وفي الوقت الحاضر ارتأى المسؤولون الإبقاء على هذه اللجنة بعد تغيير وظائفها التي باتت تقتصر على تصفية القيود غير الضريبية ووضع قوائم السلع المحظور استيرادها. وعهد بتنفيذ البرنامج إلى لجنة خاصة تتكون من مختصين على مستوى وكلاء الوزارات. ينصرف اهتمامها إلى معالجة حالات الإغراق ووضع جدول زمني لإلغاء الرسوم الجمركية. كما تتولى فض المنازعات التجارية بين الدول الأعضاء في المنطقة الحرة.

تستوجب المنطقة الحرة اقتصار تحرير التجارة على السلع المنتجة في الدول الأعضاء فيها. وهذا أمر طبيعي متعارف عليه في جميع المناطق الحرة في العالم لأن سريان التحرير على بضائع ذات منشأ أجنبي يقود إلى التهرب الضريبي. كأن تستورد دولة عربية تطبق أسعاراً جمركية منخفضة سلعة من بلد أجنبي وتعيد تصديرها لدولة عربية أخرى تطبق أسعاراً جمركية مرتفعة. ولكن متى تعد السلعة عربية فتعفى من الرسوم الجمركية ومتى تعد أجنبية لا يسري عليها الإعفاء؟ في الواقع أن هذا السؤال معقد لتشابك العلميات الإنتاجية من جهة ولتباين درجات الإنتاج في البلدان العربية من جهة أخرى. كقاعدة عامة لا توجد مشكلات كثيرة فيما يخص الزراعة وصيد الأسماك واستخراج المواد الخام، إذ ترتبط هذه المنتجات عضوياً بإقليم الدولة المصدرة فيصبح المنشأ سهل التحديد. أما الصناعات التحويلية فغالباً ما يدخل فيها عنصر أجنبي كأن يستورد الخشب من الخارج لصنع الأثاث أو تستورد المحركات لتجميع السيارات. هنالك صناعات تحويلية عديدة في البلدان العربية تعتمد اعتماداً أساسياً على العناصر



تعد السلعة ذات منشأ عربي عندما تضيف إليها دولة عربية قيمة جديدة لاتقل عن ٤٠٪ من قيمتها النهائية

الأجنبية. فعلى سبيل المثال ترتبط صناعات الملابس الجاهزة في تونس ارتباطاً وثيقاً بالعناصر الأجنبية. فمن جهة تتولى الإنتاج مؤسسات مملوكة لرؤوس أموال أوروبية خاصة فرنسية وألمانية و إيطالية، وتعتمد هذه الصناعات على استيراد الخيوط والجلود والأقمشة من خارج العالم العربي. فلو تم تصنيف هذه السلع بالأجنبية، فإن الإعفاءات من الرسوم الجمركية العربية لن تشملها، وبالتالي سوف لا تجد مبرراً لاستمرارها في منطقة التجارة العربية الحرة. خاصة إذا علمنا بأن صادرات الملابس الجاهزة تشكل نصف الصادرات الكلية.

حان الوقت الآن لتكثيف الجهود الرامية إلى إنشاء اتحاد جمركي عربي.. إذ بدونه لا يتصور قيام سوق عربية مشتركة، لا تكتفي بتحرير التجارة البينية وتوحيد الرسوم الجمركية فقط، بل تضع الأسس السليمة والقوية لحرية انتقال رؤوس الأموال بين الأقطار العربية وتنسيق سياساتها الاقتصادية

وبمقتضى اتفاقية تيسير وتنمية التبادل التجاري لعام ١٩٨١م تعد السلعة ذات منشأ عربي عندما تضيف إليها دولة عربية قيمة جديدة لاتقل عن ٤٠٪ من قيمتها النهائية. وتهبط النسبة إلى ٢٠٪ في حالة الصناعات التجميعية. وهكذا تغدو السلعة عربية حتى ولو كان الجزء الأكبر من مكوناتها أجنبياً. ويعكس هذا الوضع الرغبة في شمول الإعفاء الجمركي لعدد كبير من السلع. وهذه المبادئ انتقالية، وسوف تستمر لمدة ثلاث سنوات حتى يتم وضع القواعد النهائية من قبل لجنة خاصة. وتجدر الإشارة إلى أن صعوبة الاتفاق على قواعد المنشأ لا تقتصر على البلدان العربية فقط، فلا تزال منظمة التجارة العالمية تعاني من غياب هذه القواعد، ولا يتوقع أن تنتهي هذه المشكلة إلا بعد منتصف عام ٢٠٠١م.

ومن أجل تنمية التجارة العربية البينية لابد من إصلاح السياسات النقدية والاهتمام بهياكل الإنتاج الزراعي والصناعي. ففي أغلب البلدان العربية تتقيد المبادلات التجارية بحواجز نقدية كثيرة ناجمة عن عدم أو ضعف قابلية العملات المحلية للتحويل. إذ يشترط الحصول على موافقات من عدة جهات رسمية للتصدير أو الاستيراد أو الحصول على عملات أجنبية. ويمكن اعتبار دول مجلس التعاون الخليجي ولبنان والأردن من الأقطار القليلة في العالم العربي التي لا تفرض أية قيود نقدية، ففي بلدان الخليج تتمتع العملات الوطنية بقدر كبير من الاستقرار نتيجة لسلامة السياسة الاقتصادية ومقدرة المصارف المركزية على التدخل في السوق كلما دعت الحاجة. لذلك لا تتغير أسعار الصرف مقابل الدولار مما يمنح ثقة عالية بالعملة التي تعد من العناصر الأساسية لنمو التجارة الخارجية.



أرامكو السعودية

ضعف الهياكل الإنتاجية التي تعاني منها جميع الأقطار العربية يؤثر على التعاون بينها

ضعف هياكل الإنتاج

يؤثر ضعف هياكل الإنتاج التي تعاني منها جميع الأقطار العربية بشدة على التعاون البيني، فمن ناحية ينتج العالم العربي منتجات لا يحتاجها بصورة كاملة في أسواقه المحلية. وأوضح مثال على ذلك النفط حيث يبلغ الإنتاج ١٩,٥ مليون برميل يومياً في حين لا يزيد الاستهلاك على ٣,٤ مليون برميل يومياً. ومن ناحية أخرى يحتاج العالم العربي لأنواع عديدة من السلع لاتنتجها مؤسساته بصورة كافية على المستويين الكمي والنوعي. ففي الميدان الزراعي تبلغ قيمة الفجوة الغذائية أكثر من ١٢ مليار دولار سنوياً تنفق على واردات غذائية رئيسة كالحبوب. أما في ميدان المواد المصنعة (الآلات والمعدات المستخدمة في الإنتاج والاستهلاك) فإن الفجوة أعمق إلى درجة أنها تستحوذ على ٦٧٪ من مجموع الواردات العربية. ولما كانت المواد المصنعة تنتج في الولايات المتحدة وأوروبا وبعض البلدان الآسيوية، وهي أكبر الأسواق المستهلكة للطاقة، فإن الجزء الأكبر من التجارة العربية يجري معها، وبالتالي تتلاشى الحاجة إلى المبادلات البينية وتصبح ضعيفة. وهكذا يتضح أن تحرير التجارة يلعب دوراً ثانوياً في تنمية المبادلات البينية قياساً بدرجة مرونة هياكل الإنتاج. لذا فإن استمرار الإنتاج العربي على هذا النحو لن يكون له تأثير إيجابي على منطقة التجارة الحرة أو على التجارة البينية. ولحل هذه الإشكالية ينبغي العمل على تنويع القاعدة الإنتاجية وتحسين كميات الإنتاج ورفع الكفاءة النوعية للمنتجات. وما يثبت صحة هذا التحليل هو النتائج الإيجابية التي حصلت عليها مجموعة «المركوسور» حيث ارتفعت حصة التجارة البينية لدول أمريكا اللاتينية لكونها صناعية وزراعية في آن واحد، ولأن الجزء الأكبر من تجارتها ينصب على سلع تنتج محلياً. وينطبق هذا التحليل على جنوب شرق آسيا (مجموعة آسيان) ففي كلتا الحالتين أسهمت منطقة التبادل الحر في التكامل الاقتصادي دون أن تكون العامل الوحيد في تنمية التجارة البينية.

تحرير المبادلات التجارية في الميدان الزراعي سوف يسهم في ردم فجوة الواردات الغذائية التي تعاني منها الأقطار العربية

ضرورة التنسيق الإنتاجي

وهكذا يصبح التنسيق بين البلدان العربية أمراً ضرورياً حول التخصص في الإنتاج حسب الأحوال الاقتصادية لكل دولة. إذ أن وجود منطقة حرة مع إنتاج سلع قليلة ومتشابهة في عدة أقطار عربية يقود إلى منافسة حادة دون الحصول على نتائج إيجابية. ولاشك أن المنافسة ضرورية للمنتجين والمستهلكين على حد سواء، ولكن الاندماج التجاري العربي وهو الهدف من المنطقة الحرة، لا يتحقق إلا من خلال التخصص المنظم الذي يكفل تحسين المقدرة الإنتاجية. ويشجع هذا الأسلوب الاستثمارات العربية البينية، ويوفر المناخ المناسب للاستثمارات الأجنبية. كما يسمح بالاستخدام الأمثل للعمالة والأطر العلمية والفنية. عندئذٍ تنمو الصناعة والزراعة، وتزدهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية، كما تظهر الحاجة إلى اتحاد جمركي يمنح الدول العربية وزناً تجارياً مهماً على صعيد العلاقات الدولية.

نحو اتحاد جمركي

أبدت الأقطار العربية رغبتها في إنشاء اتحاد جمركي من خلال اتفاقية تيسير وتنمية التبادل التجاري لعام ١٩٨١م التي نصت مادتها الثامنة على ما يلي: «يتم التفاوض بين الأطراف المعنية لفرض حد أدنى موحد ومناسب من الرسوم الجمركية والضرائب والقيود ذات الأثر المماثل على السلع التي تستورد من غير الدول العربية وتكون منافسة أو بديلة للسلع العربية..».

وكما هو الحال في منطقة التجارة الحرة، يتعين أن يسهل الاتحاد الجمركي المبادلات التجارية بين الدول الأعضاء وألا يقود إلى وضع عراقيل أمام تجارة الدول غير الأعضاء. ولكن على خلاف منطقة التجارة الحرة يستوجب الاتحاد الاتفاق على جدول جمركي موحد يسري على سلع الدول غير الأعضاء. لكن كيف يمكن التوصل إلى هذا الجدول الموحد بحيث لا تتضرر تجارة الغير؟ في أغلب الأحيان يصعب التوفيق بين هذين الأمرين نظراً للاختلاف الكبير في الأسعار الجمركية للبلدان العربية. فالأسعار المفروضة على استيراد السلع تتراوح بين ١٠٪ و٥٠٪ وتصل أحياناً إلى أكثر من ذلك. وتوحيد الجدول (لكل سلعة سعر خاص موحد) يفترض بالضرورة الاعتماد على الجداول الوطنية السائدة قبل تأسيس الاتحاد. ثم تتولى لجنة متخصصة تحديد متوسط الأسعار بناءً على دراسات اقتصادية ومالية.



إقامة منطقة التجارة الحرة العربية الكبرى، سوف يفضي إلى إلغاء الرسوم الجمركية والحواجز غير الضريبية

وفي جميع الحالات تقريباً يفضي الجدول الموحد إلى تقليص الرسوم الجمركية للدول التي كانت تطبق رسوماً مرتفعة وإلى زيادة الرسوم الجمركية للدول التي كانت تطبق رسوماً منخفضة. وفي الحالة الأولى لاتوجد مشكلة على صعيد تنظيم المبادلات العالمية من خلال السعي إلى تخفيف الرسوم الجمركية أو إلغائها، وتكمن المشكلة فقط في الدولة المعنية ومدى استعدادها للتنازل عن بعض إيراداتها العامة لصالح الاتحاد. أما الحالة الثانية فتقود إلى الإضرار بمصالح الدول غير الأعضاء في الاتحاد التي تربطها بالدولة المعنية علاقات تجارية متينة. لذا نلاحظ بأن الشرط الأساسي لقبول الاتحاد في التنظيم التجاري العالمي، هو عدم الإضرار بمصالح الغير. لذلك ينبغي الدخول في مفاوضات مع البلدان المتضررة بهدف إيجاد الحلول المناسبة التي تفضي إلى ما يسمى بالإجراءات التعويضية.

والانتقال إلى الاتحاد الجمركي لا يفترض انضمام جميع أعضاء المنطقة الحرة، بل يكفي استعداد بعض الدول للانضمام، بمعنى آخر أن الاتحاد الجمركي لا يلغي المنطقة الحرة. من هذا الباب يمكن للدول العربية الأخرى الانتماء إلى المنطقة الحرة دون الاتحاد. ويتبين من تجربة «المركوسور» نجاح هذه الفكرة، ففي عام ١٩٩١م وقعت البرازيل والأرجنتين والأوروغواي والبيروغواي معاهدة لإنشاء منطقة تجارية بينها تحولت في عام ١٩٩٥م إلى اتحاد جمركي. ولم يمنع هذا التطور دخول التشيلي في عام ١٩٩٦م وبوليفيا في عام ١٩٩٧م إلى المنطقة الحرة «للمركوسور» مع رفضهما الانضمام إلى الاتحاد.

يستوجب الاتحاد الجمركي إحداث مؤسسات لتلبية متطلباته، إذ ينبغي أن يجتمع رؤساء وملوك الدول الأعضاء فيه دورياً لوضع السياسة العامة للاتحاد. وأن يكون له مجلس مكون من وزراء التجارة والاقتصاد والخارجية مهمته اتخاذ القرارات، وذلك لأن الاتحاد الجمركي يتناول قضايا تجارية تؤثر مباشرة على الاقتصاد المحلي لكل دولة من ناحية، وعلى علاقات البلدان الأعضاء مع الدول الأجنبية من ناحية أخرى. كما يستوجب بطبيعة الحال تأسيس لجنة تنفيذية لتطبيق قرارات مجلس الوزراء.

وفي الختام لابد من التنويه بأن البلدان العربية قطعت شوطاً لايستهان به في ميدان التعاون التجاري رغم المعوقات المتبقية التي يتعين تذليلها. وقد حان الوقت الآن لتكثيف الجهود الرامية إلى إنشاء اتحاد جمركي عربي.. إذ بدونه لا يتصور قيام سوق عربية مشتركة، لا تكتفي بتحرير التجارة البينية وتوحيد الرسوم الجمركية فقط، بل تضع الأسس السليمة والقوية لحرية انتقال رؤوس الأموال بين الأقطار العربية وتنسيق سياساتها الاقتصادية. ■

المراجع

١ - الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، «التقرير الاقتصادي العربي الموحد» ١٩٩٧ و١٩٩٨م.

٢ - اتفاقية تيسير وتنمية التبادل التجاري بين الدول العربية لعام ١٩٨١م.

٣ - القرار رقم ١٣١٧ الصادر عن المجلس الاقتصادي والاجتماعي في ١٧ فبراير ١٩٩٧م.

٤ - صباح نعوش «أزمة المالية الخارجية في الدول العربية»، بيروت ١٩٩٨م.

5- WTO. Annual Report. 1998.

6- MOCI "Le Mercosur, un champion en puissance". Paris. 6 mars 1999.

7- Sabah Naaoush "Economies et finances des pays arabes". Paris 1994.

الحنين .. إلى مرافئ الهدى

شعر: يس الفيل/ مصر

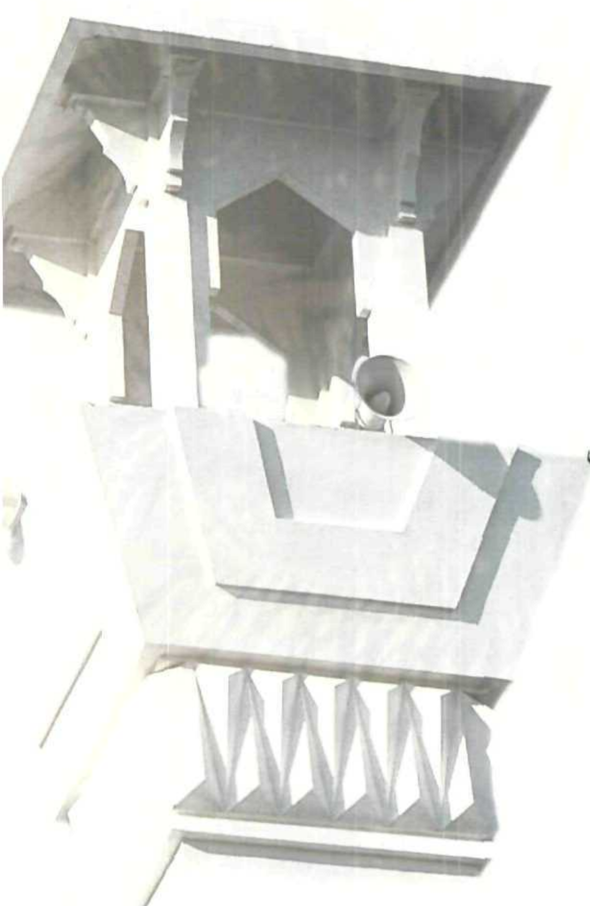
رمضان أقبل
يا مشاعر زغردي
أنا .. ما أزال
بفيضك المتجدد
أخطو إلى ملأ الهدى
وبنهج- أحمد - أقتدي
وأراك في جنبات روحي
فرحة .. تخضر .. تورق
تستوي أملاً
يصبّ الدفء
يغمرُ موقدي
يا سيدي
أنا مقصدي
أن تستقيم خطاى
إنّ غدي
يخاف من الغد

*　*　*

رمضان أقبل
سيدي،
يستلنا من غفوة الأيام
ويرد من جمحت خطاه
يرده نغماً
يحن إلى صفاء المورد
يا سيدي
أرأيت أني قد جمحت خطىً
وأني قد ألفتُ تمردي
أنا لست أدري
غير أني أفتديك
بكل ما ملكت يديَّ
وأظل أهتف .. ما حييتُ
أنا فداكَ
ولن أملّ تجلدي
روحي إليكَ
مدى الزمان تحنُ
تطلب أن تمد يديكَ
عليّ أسترد خطايَ
أدفعُ
من على شرف المحبة يعتدي

*　*　*

رمضان أقبل
سيدي
وبه الصفاء يعودُ
يفترش القلوب
فتهتدي ...
وأنا .. بكل تجردي
آتيكَ
أنشد عونك الممتدّ
يحفظني
ويشرقُ في غدي.
حسبي هواكَ
فإن صفحت
فلن أخاف من الغد
يا سيدي .



من الإشارات العلمية في القرآن الكريم في الكون والطب

تأليف: محمد أحمد كلزيّة
عرض: مصطفى أحمد النجار

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن العظيم ليكون هداية وإرشاداً و إعجازاً للعالمين، فكان وما يزال وسيبقى كتاباً جامعاً وبرهاناً قاطعاً فيه تبيان لكل شيء، فهو كلام الله المعجز في أسلوبه وفي علومه. اشتملت آياته على كثير من العلوم، والحضَ على التفكير والتأمل في آيات الله التي لا تحصى في الكون وفي الآفاق والأنفس والحياة. وقد ألمح القرآن الكريم في كثير من آياته إلى حقائق ستظهر بعد فترات من الزمان سواء ما يتعلق بدقائق العلوم وتفاصيلها، أو حقائق الكون وأسرار الوجود، التي كشفت بعضها العلوم النظرية والتطبيقية الحديثة.

وقد قام لفيف من العلماء والأطباء والمفكرين بتأليف كتب تتناول هذا الجانب برؤية جديدة شاملة وبتفصيل دقيق، ومن أحدث هذه الجهود كتاب صدر عن دار الرسالة في دمشق بعنوان: (من الإشارات العلمية في القرآن الكريم في الكون والطب) من تأليف الأستاذ محمد أحمد كلزية، وهو عالم جليل وخطّاط تشهد له بعض مساجد حلب ببراعته في هذا الفن، وهو أيضاً شاعر مقل. والكتاب من القطع الكبير الذي بلغت صفحاته المئتين ونيف، وهو مزوّد بصور توضيحية ملونة تتعلق بمناحي الكتاب ومراميه. واشتمل على مقدمة لرئيس قسم التاريخ في كلية الآداب بجامعة حلب د. عبدالرحمن دركزنلي. واختتم بتعقيب جاء في خاتمة الكتاب. وقد قسّم المؤلف الكتاب إلى فصلين تناول في الأول الكون وفي الثاني الطب، وذلك عبر رحلة طويلة من البحث والتأمل والمقارنة والقراءة لكثير من الكتب في هذا المجال مثل:

- الإعجاز الطبي في القرآن الكريم، للدكتور السيد الجميلي.
- مع الطب في القرآن الكريم، للدكتور عبدالحميد دياب والدكتور أحمد قرموز.
- من علم الطب القرآني والثوابت العلمية في القرآن الكريم، للدكتور عدنان الشريف.
- كتاب الطب محراب الإيمان، للدكتور خالص جلبي.

هذا فيما يتعلق بالطب أما ما يتعلق بالكون والفلك فقد أفاد المؤلف من كتب في هذا المجال أهمها :

- الجيولوجيا من درب الإيمان، للدكتور محمود مصطفى.
- روعة الخلق لماجد طيفور.
- الزلازل في القرآن الكريم، للدكتور شاهر جمال آغا.
- الله والعلم الحديث، لعبدالرزاق نوفل.
- الإنسان والعلم والدين لشوقي أبوخليل.
- كبرى اليقينات الكونية، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
- الإيمان والحياة، للدكتور يوسف القرضاوي.
- العلم يزحف من تأليف جيمس ستوكلي ترجمة د. محمد الشحات.
- العلم يدعو للإيمان، لكريسي موريسون ترجمة محمود صالح الفلكي.

شهد العالم في الربع الأخير من هذا القرن إقبالاً منقطع النظير على الدراسات القرآنية، لا سيما تلك التي تُعنى بالجانب العلمي فيه

ويقول د. دركزنلي في مقدمة الكتاب: شهد العالم في الربع الأخير من هذا القرن إقبالاً منقطع النظير على

الدراسات القرآنية، لاسيما تلك التي تُعنى بالجانب العلمي فيه، وعزا تلك الظاهرة إلى أسباب هي:

- شعور المسلمين بأن كتاب الله يشتمل على حقائق علمية ناصعة تتفق وآخر ما توصل إليه العلم اتفاقاً يبهر الأبصار ويذهل العقول.
- انتباه المسلمين إلى أن الغرب عمل على صنع حضارة اتخذت من العلم معبوداً، واستطاعت أن تفتن به بعض الناس وتزعزع إيمانهم إلى درجة إعراضهم عن الدين، فجاء القرآن ليدحض مزاعمهم بعدم التقصير في هذا المضمار.
- اعتراف علماء الغرب ومفكريه بصحة المعلومات التي انطوى عليها القرآن.
- ولعل من أهم الأسباب أيضاً شعور بعض الباحثين والمتخصصين أن ما قُدّم في تفسير بعض آيات القرآن، وخصوصاً العلمية منها، جاء ساذجاً متهافتاً في بعض الأحيان، وهذا لا يليق بكتاب الله ذي المنزلة المشرفة والمكانة السامية.

واستشهد د. عبدالرحمن دركزنلي بقول الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنه: (إن القرآن ذو شجون وفنون، وظهور وبطون، لا تنقضي عجائبه، ولا تبلغ غايته).

وهذه الأسباب وغيرها لابد أن تحفز المسلمين ليفسروا آيات القرآن الذي لا تنقضي عجائبه، وليقرأوه دائماً قراءة واعية متفحصة، في زمن تطوّر فيه العلم وطرائق البحث إلا أن د. دركزنلي يبيّن أن هذا النزوع المفرط إلى إبراز الحقائق العلمية ينطوي، وإن كان فيه خير كثير، على عدد من المحاذير من أهمها: افتقار بعض الباحثين إلى شروط المفسر كالدراية بلغة العرب من صرف ونحو والإحاطة بعلوم القرآن والمعرفة بأقوال السلف.

وقد اتّبع مؤلف هذا الكتاب الذي نحن بصدد عرضه، خطة رجع فيها إلى إيراد الآيات القرآنية التي تنطوي على وجود الإعجاز العلمي: الوجه الفلكي والوجه الطبي على وجه الخصوص، كما رجع إلى أحاديث رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) ثم إلى أقوال السلف وأقوال المتأخرين من العلماء والباحثين ثم سلط عليها ضوء العقل إضافة إلى المعلومات التي يستعين بها من المراجع والمصادر التي أتينا على ذكر بعضها آنفاً. والأستاذ كلزية لم يدع في كتابه هذا أنه جاء بجديد، إنما أراد أن يتجاوز هفوات من سبقوه في هذا المضمار فكان يتحرى مسلكاً صحيحاً لا إفراط فيه ولا تفريط، مراعياً الدقة والأمانة العلمية والخوف من الله والخشية من إطلاق الأحكام. ومما قاله في هذا المجال: «وقد عملت جاهداً على ذكر الآية الكريمة ذات الدلالة العلمية مقرونة بتفسيرها كما ورد في كتب التفسير أو بمعناها اللغوي في سياق النص، دون تكلف أو تمحل لمعناها العلمي المعاصر، ودون رفض لمعناها القديم في كتب التفسير، وهذا ما يزيد من إعجابنا بحيوية النص القرآني الذي لا يبلى على كثرة الرد، والذي يجاري الوعي العلمي والمعرفي لكل عصر ولا سيما في الآيات الكونية والإنسانية التي هي مدار بحثنا. كما أنني لم أدوّن كل الإشارات العلمية لعدم اقتناعي بها أو إسباغها على النص معنى لا يحتمله سياق الآية أو لإقحامه النص القرآني مجالاً ضيقاً، أو لعدم كفاية الأدلة المعبّرة عن المعنى الجديد مما يحمّل العبارة ما لا تحتمل، أو لأن الأمثلة كثرت في بابها فلا حاجة لمزيد، وقد توخيت الدقة والأمانة في النقل والاقتباس، مبتعداً عن الهوى والتعصب، ليس لي من غاية أنشدها سوى الحقيقة، مبتغياً بها وجه الله وحده، فهو من وراء القصد وبه المستعان».

رصد العلماء -كما يقول المؤلف- أربع قوى يقوم عليها النظام الكوني هي: قوة الجاذبية، والقوة الكهرطيسية، والقوة النووية القوية، والقوة النووية الضعيفة.

ومن الإشارات العلمية القرآنية إلى الحقائق والظواهر الكونية، قام المؤلف بجولة شاملة تعرض فيها إلى القوى التي يقوم عليها الكون. وقد رصد العلماء - كما يقول المؤلف - أربع قوى يقوم عليها النظام الكوني هي: قوة الجاذبية، والقوة الكهرطيسية، والقوة النووية القوية، والقوة النووية الضعيفة. ثم بحث في نشأة الكون وتوسعه وبنائه ونهايته ثم وقف أمام آيات الله في هذا الكون الواسع الشاسع مثل الشمس والقمر والنيازك والشهب وميلاد النجوم ومواقعها ثم موتها. كما وقف أمام موضوعات مثل: النجم الثاقب، والظلام أسبق في تخلقه من النور، ثم أتى على الأرض ونقصها والجبال والحياة خارج كوكب الأرض، ثم الدورة المائية إلخ.. وقبل أن يختم الفصل الأول من الكتاب تعرض إلى علم الفلك عند المسلمين، الذي بدأه بلمحة تاريخية مع مراعاة التجانس في الموضوعات لدى التحدث عن الكون وظواهره.

ومن بين بعض النماذج التي تدلنا على طريقة تناول المؤلف لمثل هذه الموضوعات المهمة ما يلي:

نفاذ الإنسان من أقطار السموات والأرض

قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ (٣٥)﴾ [الرحمن: ٣٣ - ٣٥].

يقول الأستاذ كلزية: جنح بعض المتأخرين في هذه الأيام إلى تفسير الآية تفسيراً خاطئاً، فزعموا أن الإنسان يمكنه الصعود إلى السموات وإلى الكواكب، وفسّروا السلطان بالعلم وهو مخالف لأقوال المفسّرين.

أما التفسير من المنظور العلمي، فإن أبعد مسافة قطعها الإنسان في الفضاء ونفذ إليها بشخصه هي ثانية ضوئية ونيف، وذلك بوصوله إلى القمر. كما أرسل مركبات غير مأهولة إلى كواكب المجموعة الشمسية، وأقرب نجم بعد الشمس يبعد عنا بأكثر من أربع سنوات ضوئية، وهذا يعني بلا ريب، أن قدرة علماء الفلك على سبر آفاق الكون تبقى محدودة جداً بالنسبة إلى المقاييس الكونية الهائلة. أما النفاذ من أقطار الأرض فمعلوم أن قطر الأرض الاستوائي حوالي ١٢٧٥٢ كيلومتراً والإنسان لم يستطع أن يحفر أكثر من بضعة كيلومترات في قشرة الأرض الصلبة، إذ أن أعمق بئر بترولية حفرها بحدود ثمانية كيلومترات علماً بأن المسافة بين سطح الأرض ومركزها ٦٣٧٤ كيلومتراً.

أما عن وجوه الإعجاز العلمي للقرآن في مجال الطب فتجلت في ظهور حقائق علمية ثابتة عرفها العلماء بعد نزول القرآن بزمن طويل. ويسير المؤلف مع هذه الحقائق ذاكراً دراسة أطوار الجنين إلى اختلاف الألسن والألوان وحواس الإنسان المحدودة والوقوف عند خلق الله تعالى للسمع قبل البصر، متحدثاً عن العذاب وتبديل الجلود لأهل النار. ومن ثم متناولاً النظافة والوقاية الصحية وعلم الصحة الوقائية. كما أوضح الحكمة من تحريم الميتة ولحم الخنزير، وتحريم الزنا واللواط وتحريم الخمر والميسر واعتزال النساء في المحيض والتحذير من زواج الأقارب. ونقف مع المؤلف وهو يتناول عضواً مهما من أعضاء الإنسان ألا وهو (البنان)، نموذجاً مختصراً لما ورد في الفصل الثاني لما له من أهمية بالغة، فيقول: قال تعالى ﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة: ٤].

البنان لغة: أطراف الأصابع، واحدته بنانه.

وفيها معجزات تشريحية ووظيفية. يبدأ تخلق البنان في الجنين منذ الأسبوع السادس للحمل، وتنتهي تسويتها في أواسط الشهر الخامس منه، حيث تتوضح نهائياً معالم البنان. وفيها البصمات التي تبقى ثابتة حتى الممات. ولم يكن أحد قبل القرن التاسع عشر، يعرف دقائق تشريح البنان ووظيفتها وميزة بصماتها الفريدة إلا خالقها سبحانه وتعالى، وفي صفوة التفاسير نجد الأستاذ محمد علي الصابوني يستوعب المعنى العلمي الجديد للآية فيقول: ثبت علمياً أن بشرة الأصابع مغطاة بخطوط دقيقة متناهية في الدقة منها ما هو على شكل أقواس أو عراوٍ أو دوّامات، وهذه الخطوط لا يمكن أن يشابه فيها إنسان آخر، ولهذا اعتمدتها الدول رسمياً، وأصبحت تميّز الإنسان ببصمة الإبهام. فتبارك الله أحسن الخالقين.

تجلت وجوه الإعجاز العلمي للقرآن في مجال الطب في إشاراته إلى حقائق علمية ثابتة عرفها العلماء بعد نزوله بزمن طويل

ولما كان القرآن الكريم تنزيل من الله العزيز الحكيم للناس كافة في كل زمان ومكان، فقد اقتضت حكمته أن يجعل بعض آياته مجال بحث وتفسير، ولعله كما قال المؤلف - في خاتمة كتابه - القرآن في بعض مقاصده موجّه إلى أولئك الذين لم يخلقوا بعد. وقد قال الإمام أبوعبدالله محمد بن مالك الطائي الجياني (٦٠٠ - ٦٧٢هـ) وهو أحد الأئمة في علوم العربية: «إذا كانت العلوم منحاً إلهية، ومواهب اختصاصية، فغير مستبعد أن يُدَّخر لبعض المتأخرين، ما عسر على كثير من المتقدمين».

واختتم هذا العرض بتعقيب أوجزه الطبيب خالد الناصر، في خاتمة الكتاب جاء فيه: «نحن بالفعل أمام دراسة رصينة وجهد مكثف مبارك، قدم لنا الباحث عبره، مجموعة كبيرة من الآيات المحكمات، مألوفة لنا جميعاً نمر بها عادة دونما تريّث، مستسلمين لما وقر في نفوسنا من تفسيرات، فإذا بنا من خلال المقارنة التي عقدتها الدراسة مع حقائق العلم وكشوفاته أمام أبعاد ومعانٍ جديدة بعضها غير مسبوقة، تبعث حقاً على الانبهار وتؤكد مقولة الصحابي الجليل ابن عباس «الزمان خير مفسر للقرآن».■





بقلم: نجيب القضيب - هيئة التحرير

يقولـون : **أسبوع السكَر - بتشديد الكاف - العالمي .**

والصواب : **أسبوع السكَري - بتشديد الكاف - العالمي.**

وكلمة (سكّر) فارسية معرّبة، وهي تعني المادة الحلوة المستخرجة غالباً من عصير قصب السكر أو البنجر، وقد وردت بهذا المعنى في معجم متن اللغة. أما السكّري فقد ورد في المعجم الوسيط نقلاً عن مجمع اللغة العربية: البول السكّري: مرض يظهر فيه سكّر العنب في البول لأسباب متعددة، أهمها نقص الأنسولين الذي ينظم احتراق هذا السكر في خلايا الجسم. فالجملة الأولى تعطي معنى المادة الحلوة أما الثانية فيراد بها المرض المعروف.

يقولـون : **هذا الدواء يسبب حساسية عند بعض الأشخاص بينما لا يسبب حساسية عند البعض الآخر.**

والصواب : **هذا الدواء يسبب حساسية عند بعض الأشخاص.**

في الجملة الأولى لم تأت بينما في الصدارة وهذا خطأ فاحش، كما أنها ظرف زمان يحتاج إلى جواب يتم به المعنى وقد جاء في لسان العرب: ويقال بينا وبينما، وهما ظرفا زمان بمعنى المفاجأة ، ويضافان إلى جملة من فعل وفاعل ومبتدأ وخبر، ويحتاجان إلى جواب يتم به المعنى. كما أنها لم تأت بمعنى المفاجأة بل جاءت بمعنى (في حين) . ويمكن أن نضيف إلى ما سبق أن أسلوب الجملة الأولى ركيك لأن ما بعد (الأشخاص) يعد حشواً لا فائدة منه، لأن المعنى ينتهي هناك، كما أن كلمة «بعض» يفهم منها ليس الكل. فمثلا حين نقول: بعض الرجال أشداء، يفهم من ذلك ليس جميعهم.

يقولـون : **لا زالت أحوال الجو غير مستقرة.**

والصواب : **ما زالت أحوال الجو غير مستقرة.**

إن أسلوب نفي الأفعال الماضية في اللغة العربية يكون باستعمال حرف النفي (ما). فلا يقال : لا قدم فلان، ولايقال: لاجاء فلان، وإنما يقال: ما قدم فلان، وما جاء فلان. وينبغي إذا استعملت لا مع الماضي تكرارها مثل قوله: (لا جاء ولا اتصل). ويقول صاحب لسان العرب: ولا تكاد تقول - العرب - لا جئتني تريد ما جئتني . ولا زرتني. وتستخدم لا مع الفعل الماضي في حالتي الدعاء والرجاء مثل: لا دام عزك، ولا حرمت فضلك.

يقولـون : **الرضاعة تمنح الحماية ضد الالتهابات.**

والصواب : **الرضاعة تمنح الحماية من الالتهابات.**

الضد هو الخلاف . وقد جاء في مقاييس اللغة لابن فارس (الضاد والدال كلمتان متباينتان في القياس. فالأولى : الضد - بكسر الضاد - ضد الشيء، والمتضادان لا يجوز اجتماعهما في وقت واحد كالليل والنهار، والكلمة الأخرى الضد - بفتح الضاد - ، وهو الملء). فمن هنا يتضح أن الجملة الأولى غير منطقية إذ كيف تحمي الرضاعة عكس الالتهابات. فالحماية يجب أن تكون من الشيء وليس ضده. فكلمة ضد لا تستخدم في هذا السياق. ■


الخواص العلاجية لنبات الحنّاء



التدريب ومسيرة النجاح في أرامكو السعودية